

كيف نربي أولادنا على

الشورى

خالد أحمد الشنتوت

١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله وحده لا شريك له ، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :-
فقد بات واضحاً أن العودة إلى الإسلام أمر حتمه الله سبحانه وتعالى ، وبشر به نبيه ﷺ ، وتتلخص هذه العودة بوجود الفرد المسلم الملتزم بدينه ، ثم الأسرة المسلمة ، فالمجتمع المسلم ، كما أراده الله عزوجل خير أمة أخرجت للناس ، شاهدة عليهم ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

وقد بات المسلمون اليوم وفيهم ملايين الأفراد الملتزمين بالإسلام ، وملايين الأسر المسلمة تتمنى العيش في ظل المجتمع الإسلامي الذي يطبق الشريعة الإسلامية ، لكنهم لا يزالون يتعثرون في إقامة المجتمع المسلم .

والمجتمع المسلم مجموعة من الأسر المسلمة تربطها عقيدة (لإله إلا الله محمداً رسول الله ﷺ) ، وتسير في حياتها على هدى العقيدة والشريعة الإسلامية ، وقد كونت هذه الأسر مؤسسات اجتماعية إسلامية كالمسجد والمدرسة المسلمة والمستشفى الإسلامي ، ودار المال الإسلامي ، وبيت الزكاة ، والجامعات الإسلامية ، والجمعيات التربوية والثقافية والخيرية ... إلخ . وإقامة المؤسسات الاجتماعية الإسلامية هي الخطوة الحاسمة والصعبة في إقامة المجتمع المسلم ؛ لأن أعداء الإسلام وقفوا مشمرين عن سواعد الجد لعرقلتها ، فما تؤسس شركة اقتصادية إسلامية على غير الربا حتى يجن جنون الغرب والصهيونية العالمية ؛ فيقفون لها بالمرصاد حتى يدمروها ، كما فعلوا بشركة الريان وشركة الشريف في مصر اللتين أسهمتا في نهضة الاقتصاد المصري ، وشجعنا

المواطنين على الادخار الحلال ، والاستثمار المشروع حيث يكون رأس المال شريك مع العمل في الربح والخسارة ، وقد ازدهرت هذه الشركات الاقتصادية الإسلامية في مصر ، وذاع صيتها ، حتى توجهت أنظار الصهيونية وأعداء الإسلام إليها فحرّضوا الحكومة على حلها وملاحقة أصحابها واختلاق التهم لهم بدلاً من مكافأتهم وتشجيعهم ، كما تواجه دور المال الإسلامي عقبات منها أن صندوق القرض الدولي اشترط على اليمن هذا العام (١٩٩٦ م) أن لا تؤسس دار مال إسلامية ؛ كي تأخذ ما طلبته اليمن من هذا الصندوق . ولا أعرف الآن دور مال إسلامية إلا في المملكة العربية السعودية . وكذلك المدارس المسلمة ، وأول شروطها عدم الاختلاط بين الرجال والنساء ، وهذه المدارس كذلك لا توجد بشكل تام إلا في المملكة العربية السعودية .

ومن أجل إقامة هذه المؤسسات الاجتماعية لا بد من وعي اجتماعي إسلامي ، ينطلق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، يهدف إلى معرفة علم العمران البشري (علم الاجتماع الإسلامي ومنه السياسة المسلمة) ، فبناء المجتمع عملية شاقة وطويلة ، لكنها ضرورية ومثمرة ، ولا إسلام إلا بمجتمع مسلم فقد أخرج الدارمي موقوف على عمر بن الخطاب ؓ ، أنه قال : ((... إنه لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة ، ... الحديث)) [الدارمي ٧٩/١] . فالفرد وحده لا يستطيع أن يقوم بأحكام الإسلام ، بل إن أكثر أحكام الإسلام تعالج الحياة الاجتماعية ، وما ينقرع عنها من سياسة واقتصاد وأسرة وجهاد ... إلخ ، يقول ابن تيمية رحمه الله : ((... فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعض الناس إلى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس)) [السياسة الشرعية ، ص ١٥٣] .

ومن أشد الأمراض المزمنة عند المسلمين المعاصرين الفردية ، نجدها عند رب الأسرة ، والمدرس مع طلابه ، ومدير المدرسة ، ومدير الشركة ، حتى التجمعات السياسية التي يفترض أن تقوم على المشاركة الجماعية ، نجد فرد قوي يستولي عليها ويسيرها حسب

مصالحته ومصالحة فنته ، حتى إذا فشلت ودرست أسباب فشلها وجدت الفردية من أهم أسباب الفشل .

وينشأ الطفل في البيت المعاصر ، ليجد تسلط الأب أو الأم بقيادة فردية بعيدة كل البعد عن الشورى ، ثم يدخل المدرسة فلا يسمع من المدرس إلا إفعل كذا ، لا تفعل كذا ، ولا تناقش ، حتى إذا دخل الحياة العملية وجد مدير المدرسة أو المؤسسة يقول له : نفذ ثم اعترض (١) . ويطلب من الموظف أن يلغي تفكيره ، وينفذ قرار المدير مهما كان خاطئ . وهكذا تزرع الفردية عند الناشئة ، ويستمر المرض في بث الفرقة والتمزق بين المسلمين .

ويبدو لي أن التمزق المعاصر عند المسلمين يعود القسم الأكبر من أسبابه إلى هذه الفردية ؛ المؤدية إلى الإعجاب بالنفس وازدراء الآخرين ، وعندما يتضخم الإعجاب بالنفس يصبح أنانية ، ويصعب التعايش مع الأناني ؛ مما يدفع المسلمين إلى التمزق والتشرذم المعاصر .

ويرى الباحث أن التربية السياسية هي العلاج الاجتماعي لهذه الفردية ، فما هي التربية السياسية ؟

التربية السياسية

التربية السياسية إعداد الفرد المسلم ليكون مواطن صالح في المجتمع المسلم ، يعرف واجباته فيؤديها من تلقاء نفسه ، طمعاً في ثواب الله عزوجل ، قبل المطالبة بحقوقه ، كما يعرف حقوقه فيسعى إلى اكتسابها بالطرق المشروعة .

والتربية السياسية الإسلامية (المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ) ؛ واجب اليوم ، من أجل إعداد اللبنة المسلمة الصالحة لتكوين المجتمع المسلم ، وهي ركن أساس من أركان التربية الإسلامية ، لأن التربية الإسلامية شاملة تشمل التربية الروحية ، والتربية العقلية

(١) هذه المقولة أصلها في الحياة العسكرية ؛ وتهدف إلى زرع الطاعة العمياء عند الجندي لينفذ أوامر الضابط بلا تردد . وقد تكون نافعة للحياة العسكرية على مستوى الجنود فقط ، أما الحياة المدنية فلا بد أن تقوم على المشاركة .

، والتربية الجسدية ، كما تشمل التربية الوجدانية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية العسكرية ، والتربية الاقتصادية ، والتربية السياسية ... إلخ ، فالإسلام دين للفرد وللمجتمع ، ولايقوم مجتمع مسلم بلا سياسة مسلمة ، فالتربية السياسية (تعد المواطنين لممارسة الشؤون العامة في ميدان الحياة ، عن طريق الوعي والمشاركة ، وعن طريق إعدادهم لتحمل المسؤولية ، وتمكينهم من القيام بواجباتهم ، والتمسك بحقوقهم ، وتبدأ التربية السياسية في مرحلة مبكرة من العمر ، وتستمر خلال سنوات العمر كله)^(١) .

وهذه التربية السياسية ضرورية للمجتمع المسلم الذي (...) ظهرت فيه لعوامل عديدة ومتداخلة مشكلات عدم الانتماء ، واللامبالاة بالآخرين ، والإحجام عن المشاركة في الحياة الاجتماعية ، فالتربية السياسية تكون شعور العضوية في الجماعة والإحساس بالآخرين) [المرجع السابق ، ص ١٣] .

وأى خطوة نحو المجتمع المسلم ؛ قبل تكوين وإعداد القاعدة الصلبة التي تحمل هذا المجتمع ؛ خطوة متعجلة تعود بالضرر على المسلمين ، وتعوق مسيرة الحركة الإسلامية ، وتشوه مفهوم الإسلام لدى البشرية .

وقد تبين للباحث من خلال متابعته لهموم المسلمين ومصائبهم ؛ ضعف الوعي الاجتماعي السياسي لدى كثير من الدعاة والشباب المسلم ، وخاصة عدم وضوح الخطوات الصحيحة ، والطريق السليم لإقامة المجتمع المسلم ، فصارت الفوضى والارتجال وتعجل الخطوات ، والتطرف أحياناً ، سمة بارزة لدى بعض الشباب المسلم ، كما وقف بعض المسلمين ضد إخوانهم المسلمين الآخرين ؛ بعد أن عجزوا عن التعاون القائم على الحوار والتشاور ، ويعتقد الباحث أن فشل المؤسسات التربوية في إعداد الفرد المسلم الملتزم بدينه ، هو السبب الأول في ما نراه من فوضى عند كثير من المسلمين ، وبما أن البيت هو المؤسسة التربوية الأولى ، لذلك أراد الباحث أن

(١) عثمان عبدالمعز ، ص ١٣ .

يبين المسؤولية الملقاة على كاهل البيت المسلم في إعداد اللبانات المسلمة الصالحة لبناء المجتمع المسلم ، لعله يسهم في توضيح بعض معالم التربية الإسلامية ، ليتخذها البيت المسلم منهج من أجل تربية أولاده كما أمر الله ورسوله ﷺ ، والله من وراء القصد .

ولابد من الإشارة إلى تعقد المسلمين من كلمة (سياسة) ، بسبب ما ذاقوه من تناحر الأحزاب الدنيوية والعصابات التي شوهدت هذا المفهوم ، وقد نصحتني بعض المخلصين من زملائي بتجنب الكتابة في أي موضوع يتصل بالسياسة ، خوفاً علي من هذه الأحزاب الدنيوية المتصارعة على الدنيا ، ولكن التربية السياسية شيء غير السياسة الموجودة في أذهان الناس ، بل هي العلاج الضروري لما يرونه من فوضى وصراع على الدنيا ، ويبدو لي أن تخلف المسلمين في فهم مساحات واسعة من دينهم ، مكن هذه الأحزاب الدنيوية من أن تسومهم سوء العذاب ، ورأيت أن تداول هذه الكلمة ضروري ، حتى نزيل هذا الخوف من حقيقتها ، ونبين الحق من الباطل ، ونحصن المسلمين من أمراض الأحزاب الدنيوية المتصارعة ، التي أهلكت الحرث والنسل ، وخربت البلاد وأذلت العباد .

هدف البحث وأهميته وحدوده

يهدف هذا البحث إلى المساهمة في تربية الجيل المسلم تربية إسلامية صحيحة ، متكاملة وشاملة ، وتبصير الوالدين ببعض الوسائل التي تعينهم على تربية أولادهم على الطاعة والشورى والتعاون والعدالة والاهتمام بالمسلمين ، من أجل إقامة المجتمع المسلم الذي شبهه رسول الله ﷺ بالبنيان المرصوص والجسد الواحد ، ويعتقد الباحث أن تبصير البيت المسلم بجزء هام من واجباته الشرعية ، سوف يسهم في تربية الجيل المسلم ، وسوف يصلح ثغرة مهدمة استخدمتها الأحزاب الدنيوية في إفساد المسلمين ، ومص دمائهم .

ولا علاقة للبحث بالأوضاع السياسية القائمة في أي بلد مسلم ، ولا يتطرق إلى الواقع المعاصر ، وإنما يهيمه إعداد جيل المستقبل ، عن طريق التربية الإسلامية الصحيحة المتكاملة والشاملة . ليكون هذا الجيل لبنات مسلمة صالحة تسهم في تكوين المجتمع المسلم .
وهدف الباحث إرضاء الله عزوجل ، ونشر الفكر التربوي الإسلامي ، بين المسلمين ، عسى أن ينفعه هذا العمل يوم لا ينفع مال ولا بنون ، والله الموفق .

المدينة المنورة ، جمادى الآخرة ، ١٤١٤ هـ

خالد أحمد الشنتوت

١- الفصل الأول

تعريف التربية السياسية

تعريف السياسة :

من المفاهيم الخاطئة في واقعنا المعاصر ؛ مفهوم السياسة ، ولا بد من عرض المفهوم الخاطئ ، وهو المفهوم المكيف للسياسة ، ثم نعرض المفهوم الإسلامي لها، ومعناها في اللغة والمصطلح^(١) .

السياسة في الفكر الغربي

ابتعد العلماء المسلمون عن السياسة ، وترفعوا عن الخوض فيها ، وتركوها لغيرهم الذين فصلوا السياسة عن الإسلام ، عندما قيل لهم السياسة هي المكيفيلية ومعناها الكذب والخداع والنفاق ، فما هي السياسة كما يراها مكيفيلي^(٢) . الذي عرض مفهومه عن

(١) يرى الباحث أن مجموعة من المفاهيم الخاطئة المنتشرة في العالم ؛ كالسياسة والمراهقة والاقتصاد والحضارة وتحرير المرأة والمساواة ... وغيرها . تروج من قبل أعداء البشرية لإفسادها ، لتبقى البشرية في التيه والضياع ، ويستطيع أعداؤها استغلالها وفرض سيطرتهم عليها ، لأن مفهوم السياسة الخاطئ والذي يرى أنها الكذب والخداع أبعد الناس الشرفاء عنها ، وخاصة العلماء المسلمين ، وبقيت الساحة السياسية محتكرة لغير المسلمين . وكذلك مفهوم المراهقة الخاطئ الذي يرى أنها الطيش والاضطراب الحتميان مما يبرر ضياع الشباب وإفسادهم (راجع تربية الشباب المسلم للباحث) ، ليقعوا فريسة سهلة بين مخالف أعداء البشرية ، ومثله ترهات فرويد التي تدعي أن إشباع الغريزة الجنسية هي المحرك الأساس للسلوك البشري ، والتي دحضها علم النفس التجريبي ، ونقضها تلاميذ فرويد نفسه وهما (ألفرد إدلر وشارل يونغ) ، ومع هذا كله انتشرت مغالطة فرويد على أنها الحقيقة ؛ فسأقت الشباب إلى مراتع الرذيلة كالحوانات ، ومثل ذلك أغلوطة دارون التي لم تتعد حدود الفرضية ، والتي تفترض أن الإنسان ابن القرد ، والتي دحضها العلم حينذاك ، ومع هذا فقد انتشرت على أنها حقيقة ثابتة ، لتسوغ للناس الرذيلة وتبعدهم عن الفضيلة كالقروء .

(٢) ولد نيقولا مكيفيلي في فلورنسا بإيطاليا عام (١٤٦٩ م) ، وكان والده حمامياً ، وصار مستشار فلورنسا لمدة ثلاثة عشر عاماً ، ثم عزل ونفي فعاش في قرية صغيرة يقرأ التاريخ

السياسة في كتابه (الأمير) الذي يدور حول الطرق الكفيلة بتثبيت الحاكم واستمرار حكمه ، دون أي اعتبار آخر ، وكل وسيلة جائزة ما دامت الغاية تثبيت الحكم ، والأمير الناجح هو الأمير الذي يبقى في الحكم ، يقول في الفصل (١٨) تحت عنوان : (العهود والمحافظة عليها) (... الأمراء العظام لم يهتموا بالوفاء بوعودهم ، وتمكنوا بالمكر والدهاء من الضحك على عقول الناس وإرباكها ، وتغلبوا على أقرانهم الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم ، والإنسان يلجأ إلى القانون ، بينما يلجأ الحيوان إلى القوة ، وعلى الأمير أن يلجأ إليهما معاً ، ويقلد الأسد والثعلب بآن واحد ، والحاكم الذكي لا يحافظ على وعوده عندما يراها ضارة بمصالحه) (١) .

مفهوم السياسة المعاصرة مكيافيللي

يقول فاروق سعد : (إذا كان لأرسطو الفضل في منهجة المعرفة الاستقرائية في السياسة ، وإذا كان ابن خلدون قد ربط السياسة بعلم الاجتماع ؛ فقد فصل مكيافلي السياسة عن الأخلاق (والدين) ، لذلك وجد هذا الفكر رواج في أوروبا العلمانية بعد أن تحررت من الكنيسة ، وعندما نمعن النظر في أحداث العالم المعاصر نجد أن الكثير منها توجهها نظريات مكيافلي وآراؤه ، ومازال كتاب الأمير الموجه الملهم لكثير من رجال السياسة في مختلف بلدان العالم) (ص ١٤) .

ويقول كريستان غاوس عميد جامعة برنستون الأسبق : (اختار طاغية الفاشية (موسوليني) كتاب الأمير أطروحة للدكتوراة ، وكان هتلر يضعه في سريره ليقراً به قبل النوم ، وتتلذذ لينين وستالين على هذا الكتاب أيضاً ، ومنذ خمسين عاماً بدأنا نطلق على مكيافلي اسم مؤسس علم السياسة الحديث) (ص ١٨) .

ويستخلص منه صفات الأمير الناجح التي أودعها في كتابه (الأمير) الذي طبع للمرة العشرين بعد وفاته ، ثم سيطر فكر مكيافلي في أواخر القرن الثامن عشر واستمر حتى الآن .
(١) نيقولا مكيافلي ، كتاب الأمير ، ترجمة فاروق سعد ، ص ١٤٧ .

ويستخلص الدكتور محمد رواس قلعجي^(١) . صفات الأمير الناجح عند مكيافلي وهي :-

١- سوء الظن بالرعية ، لأن الشعب يغلب عليه الشر ، والخير فيه قليل .

٢- يصبح الشر فضيلة عندما يحقق مصلحة .

٣- الأخلاق الفاضلة ، والسلوك المستقيم ، صفتان مهلكتان للأمير .

٤- لا يعبأ الأمير بالمعائب (كالظلم والخيانة وسفك الدماء وخنق الحريات ...) طالما تؤدي إلى الاحتفاظ بكرسي الحكم .

٥- أن يتصف بالنفاق ، والغدر ، والخبث ، والبخل ، وأن يكون ضميره ميت ، وعقله مرن .

لذلك يبرر الناس (اليوم) للسياسيين تقلباتهم ، ويسمون ذلك ذكاء فيقولون : (يلعب على الحبال كلها) ، وعندما تعتدي دولة قوية على أخرى ضعيفة ؛ تجد السياسيين يوازنون مصلحتهم الشخصية أو مصلحة حزبهم وفتتهم الحاكمة ، ثم مصلحة أمتهم ، ويقفون بجانب من يتوقعون نصره وهو القوي طبعاً ، ليصيبهم سهم من الغنيمة .

وهذا هو التطبيق الحرفي لفصل السياسة عن الأخلاق والدين ، فلا يوجد خير مطلق ولا شر مطلق ، بل الأمور عندهم نسبية ومتغيرة ، والغاية تبرر الوسيلة .

السياسة في الفكر الإسلامي

السياسة في اللغة العربية من الفعل (ساس ، يسوس) وساس الدواب راضها وأدبها ، وساس الأمور دبرها وقام بإصلاحها ، والسائس هو الرجل الذي يتولى ترويض الخيول والعناية بها (كما في المعجم الوسيط) ، وكانت هذه المهنة موجودة حتى فقدت الخيل قيمتها بظهور السيارات ، ومن التمعن في عمل السائس نجد ما يلي :-

(١) محمد رواس قلعجي ، أميرنا وأميرهم ، ص ٢٥ .

١- يتقرب السائس إلى المهر (الحصان الصغير) ، فيقدم الطعام والماء له عدة أيام متتالية ؛ كي يألفه الحصان ، ثم يبدأ بمداعبته فيمرر يده على خده ثم ظهره ، (والمعروف أن المهر يغار إذا لمس أحد فيقفز ويجمح .

٢- يهدف السائس من تودده إلى الحصان ترويضه ، كي يحقق الغاية التي وجد من أجلها وهي ركوب الإنسان عليه ، وحمل الأمتعة على ظهره .

٣- لا يستخدم السائس العنف مع الحصان ، ولو استخدمه مرة واحدة لفشل في مهمته ، لأن الحصان أقوى جسدياً من السائس .

ولدى العرب عامة وفي شمال إفريقيا خاصة تعني كلمة (سياسة) اللطف واللين والتمهل ، وتستخدم في اللغة الدارجة ، ويقولون افعل ذلك بالسياسة أي افعله بتمهل ولا تغضب ولا تتسرع ، وإذا رأى أحدهم زميله متسرعاً قال له بالسياسة .
فما علاقة السياسة باللطف واللين والتمهل ؟

بما أن السياسة قيادة الجماهير ، والجماهير معظمهم من عامة الناس ، تغلب عليهم الفطرة ، ويحبون من يتودد إليهم ويوفر لهم مصالحهم الأساسية ، وينقادون له ، ويتضح منذ الآن أن السياسة نقيض العسكرية ، وبينهم الفروق التالية :-

١- تقوم السياسة على اللطف واللين ، بينما تقوم العسكرية على الغضب والعنف .

٢- تقوم السياسة على التمهّل ، أما العسكري فيحاول تحقيق النصر بأقصر زمن ممكن .

٣- عندما تبدأ الحرب تنقطع العلاقات السياسية .

٤- السياسي يقود العسكري ، لأن الجيش قطاع من المجتمع .

والسياسة في الإسلام قيادة المسلمين إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة . يقول الفنجري : (فالسياسة في الإسلام : علم إدارة شؤون الرعية ورعايتها ، والمعنى الحقيقي لكلمة سياسة قول رسول الله ﷺ : ((... وكلكم مسؤول عن رعيته ...)) ، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس لعبادته وحده دون غيره ، يعبدونه في كل

لحظة من حياتهم ، في مساجدهم ومدارسهم ومزارعهم ومصانعهم ، وفي سلمهم وحربهم ... والسياسة المسلمة هي قيادة الجماهير لتحقيق هذه العبادة ، وجعلها خالصة لله عزوجل ، يقول الماوردي : ((والذي يلزمه - أي الإمام - من الأمور عشرة أشياء : - أولها - حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة))^(١) .

وبناءً على هذا فالأمير المسلم خادم لرعيته يسهر على شؤونهم ، وهو مسؤول عنهم أمام الله عزوجل ، ومن أوضح أمثلة الأمير المسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ كيف كان يشعر بهذه المسؤولية فيقول : ((لو أن شاة عثرت على شاطئ الفرات لخشيت أن يحاسبني الله لم لم أمهد لها الطريق)) ، وكيف كان يحرس الرعية بنفسه وهم نيام ، وكيف رفض أن يرشح ابنه عبدالله بعده وقال : ((يكفي أن يحمل وزر الأمة رجل واحد من آل الخطاب)) .

السياسة الإسلامية عقائدية

السياسة العقائدية نقيض سياسة المصالح ، وتسمى أيضاً سياسة المبادئ ، وهذه السياسة لا تنفصل عن الدين والأخلاق ، والغاية فيها لا تبرر الوسيلة ، فالضعيف يستحق المساعدة لأنه ضعيف ، لا من أجل مصلحة دنيوية ، والغريق يجب إنقاذه ولو لحقنا ضرر دون الموت المؤكد . والظلم مرفوض مهما كانت النتائج . ومن الأمثلة على ذلك :-

١- عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل لنصرته ، وقد تكلم مع بني عامر بن صعصعة فقال أحدهم : رأيت إن نحن بايعناك ثم أظهرك الله أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء)) فأبوا عليه ورفضوا نصرته ، وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الموقف العقيدي وهو أحوج ما يكون إلى الإيواء والنصرة ، ولكن المبادئ لا تقبل المساومة ، ولا يعرف حملتها التلون والمخادعة .

(١) الماوردي ، ص ١٥ .

٢- جاء اليهود إلى السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله ، وهو في حالة صعوبة من الضعف والخذلان ، فعرضوا عليه آلاف من الليرات الذهبية لخزانة الدولة ، وآلاف أخرى لخزينته الخاصة ؛ مقابل السماح لهم بالإقامة في فلسطين ، ويعلم عبد الحميد أن اليهود قوة عالمية ، ولو وقفوا مع دولته ثبتوها ، وإن وقفوا ضدها أزالوها ، ومع ذلك طردهم من حضرته ، ووبخ حاجبه على السماح لهم بالدخول ، لأن المبادئ لا تباع بالذهب ، فحطموا دولته وأزالوا ملكه في الدنيا ، ونسأل الله عزوجل أن يجعل هذا الموقف في ميزان حسناته يوم القيامة .

السياسة علم أم فن

هل السياسة علم مكتسب يمكن دراسته في كليات العلوم السياسية ؟ وبالتالي كل من يريد تعلم السياسة يستطيع أن يكون سياسي ؟ أو أن السياسة فن أو موهبة يزود بها بعض الناس منذ الخلق ، مثل موهبة الشعر وسائر الفنون الأخرى .

لقد شغل هذا السؤال الفكر السياسي مدة طويلة ، بين متحيز لهذا القول أو ذاك ، والجمع بين القولين يتمثل في أن السياسي لا بد أن يزود بموهبة القيادة ، كالصفات التي تجعله بارز أمام الآخرين ، وتمكنه من العمل المستمر من أجل الآخرين ، ولكن لا بد من صقل هذه المواهب باكتساب العلم السياسي ، ودراسة العلوم الإنسانية عامة كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد ، ليتمكن من أن يصبح سياسياً ناجحاً ، يقود رعيته نحو خيرهم في الدنيا والآخرة .

ومع تعقد الحياة يغلب جانب العلم ، فالسياسي الناجح اليوم ، هو السياسي الذي يشاور عدداً كبيراً من المستشارين والخبراء ، لأنه بات من المستحيل على شخص واحد أن يلم بعدة ميادين ضرورية للسياسي الناجح المعاصر ، ومع هذا لا بد أن يكون هذا السياسي قد زود ببعض المواهب الضرورية .

التربية السياسية

والتربية السياسية هي إعداد المواطن الصالح الذي يعرف واجباته فيؤديها من تلقاء نفسه ، طاعة لله عزوجل ورجاء رضاه وثوابه سبحانه وتعالى في الآخرة ، كما يعرف حقوقه فيسعى للحصول عليها بالوسائل المشروعة التي بينها شريعة الله عزوجل . والتربية السياسية الإسلامية تبني مجتمع مسلم منظم متماسك كالبنيان المرصوص ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

والتربية السياسية جزء أساس من التربية الإسلامية ، لأن التربية الإسلامية شاملة تعد الفرد ليكون عضواً صالحاً في المجتمع ، والتربية السياسية جزء من التربية الاجتماعية . وبدون التربية السياسية الإسلامية تحصل الفوضى والتفكك في المجتمع ، وتستطيع عندئذ الأحزاب الدنيوية ، والعصابات السياسية التسلط عليه وامتصاص خيراته ، واستعباد أفرادهم وإذلالهم ، كما يتسلط عليهم أعداؤهم فيسمونهم أصناف العذاب ويذيقونهم شر الحياة الدنيا .

البيت المسلم مدرسة للتربية السياسية

الأسرة مجتمع مصغر ، الأب فيه يمثل الدولة ، والأم والأولاد مواطنون ، وفيه يتدرب الأولاد على الحياة الاجتماعية الصحيحة ، وفي البيت المسلم يتدرب الأولاد على :-

أ - الطاعة (وهي ما نقصده بالبيعة) : ويلقن الأولاد أن طاعة الأب والأم طاعة لله عزوجل ، فتنبثق طاعة الوالدين من قلوب الأبناء بشكل تلقائي .

ب - يتدرب الأولاد في البيت المسلم على الشورى ، من خلال تعامل الأب والأم مع بعضهما ومع أولادهم .

ج - يتدرب الأولاد في البيت المسلم على التعاون ، حيث يتعاون الوالدان مع بعضهما ، كما يتعاون الأولاد فيما بينهم .

د - وفي البيت المسلم يتربى الأولاد على العدل ؛ عندما يلمسون هذا في تعامل الوالدين معهم ، فلا يفضلون الكبير على الصغير ، أو الذكور على الإناث .

هـ - وفي البيت المسلم ينشأ الأولاد والبنات على الاهتمام بأمور المسلمين ، من خلال مطالعتهم للصحف والمجلات الإسلامية ، ومن خلال تحدث الكبار أمامهم عن شعورهم نحو المسلمين في سائر أرجاء العالم .
وهذه الفقرات الخمس ستفصل في الفصول القادمة بإذن الله تعالى .

البيت هو المؤسسة التربوية الأولى

إذا كان البيت والشارع والمدرسة والمسجد والمجتمع هي ركائز التربية الأساسية ؛ فإن البيت هو المؤثر الأول وهو أقوى هذه الركائز جميعاً ، لأنه يتسلم الطفل من أول مراحلها ، ولأن الزمن الذي يقضيه الطفل في البيت أكبر من أي زمن آخر ، ولأن الوالدين أكثر الناس تأثيراً في الطفل ^(١) . وعندما كلف الله عزوجل الوالدين بالمسئولية عن عقيدة الطفل (لأنهما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ؛ فإنه أعطاهما القدرة على ذلك ، { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } ، وإذا كان البيت مسؤولاً عن عقيدة الطفل (التي يتوقف عليها فلاحه في الدنيا والآخرة) ؛ فإنه أهم المؤسسات التربوية قطعاً .

وثبت من خلال ممارستي للإرشاد الطلابي أن معظم الطلاب المتفوقين ، يعود السبب المهم في تفوقهم إلى اهتمام البيت بهم ، كما أن معظم الطلاب المتأخرين دراسياً يعود السبب المهم في تأخرهم إلى البيت كذلك ، لأن المدرسة تعطي الطلاب مستوى واحد ، ومع هذا تجد منهم المتفوقين والمتأخرين دراسياً وفقاً لما أخذوه من بيوتهم في تكوين شخصيتهم ، ووفقاً لاهتمام بيوتهم بدراساتهم . كما ثبت أن نصف ساعة من متابعة الأب أولاً ثم الأم ثانياً ؛ تعادل

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، (١ / ٩٣) .

ساعتين أو ثلاث من متابعة غيرهم كالمدرس الخصوصي مثلاً ،
وتعليل ذلك أن الطفل مفطور على التلقي من الوالدين ، وخاصة
كلما كان صغيراً . فالطفل قبل المدرسة الابتدائية يرى أن أمه أعظم
نساء العالم ، وأن والده أفضل رجل في الدنيا ، وفي الصف الأول
الابتدائي يستطيع المدرس الناجح أن يحتل مكانة في نفس الطفل
توازي مكانة والده ولا تتفوق عليها . ثم يزيد أثر المدرس بعد ذلك ،
ومع هذا يبقى الأب الحصيف هو مركز الثقل في التأثير .

الفصل الثاني

الطاعة في البيت المسلم

الطاعة هي البيعة

البيعة اصطلاح سياسي إسلامي خلاصته : أنه يجب على كل مسلم ديانة أن يبايع أميراً يطبق شرع الله عزوجل في المجتمع ، لأن الدين لايقوم بدون ذلك ، (ولا يجوز للمسلمين أن يبيتوا ليلة واحدة بغير إمام يقودهم بكتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ ؛ وإلا كانوا آثمين ^(١) . وقد شغل صحابة رسول الله ﷺ وفيهم العشرة المبشرون بالجنة شغلوا باختيار خليفة للمسلمين قبل دفن رسول الله ﷺ ؛ لما يعرفونه من أهمية الأمر وخطورته ، والبيعة في مصطلحها الأصلي هي مبايعة إمام المسلمين ذي الشوكة ، وتسمى البيعة العامة ، حيث يُبايع الإمام من أهل الشورى أولاً ، وعندئذ يصير إماماً ، ويجب عندئذ على كافة المسلمين مبايعته .

أما البيعة الخاصة فهي عهد ولا ضرر في تسميته بيعة ، إذ لا مشاحة في الاصطلاح ، فهذا عكرمة بن أبي جهل ؓ ، عندما اشتدت الحرب على المسلمين يوم اليرموك ، وكاد الروم أن يصلوا إلى فسطاط خالد ؓ ، ينادي (عكرمة) بأعلى صوته قائلاً من يبايع على الموت ؟ فيبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ، ومعهم أربعمئة من أبطال المسلمين ، فدافعوا عن فسطاط خالد (القيادة العامة) حتى أثبتوا جراحاً كلهم رضي الله عنهم وتراجع الروم أمام ثبات عكرمة ومن بايعه على الموت ^(٢) . والشاهد هنا أن عكرمة ؓ استعمل مصطلح البيعة في غير معناه العام وهو مبايعة الخليفة ذي الشوكة .

(١) عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٩ .

(٢) انظر جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين لمحمد السيد الوكيل ، ص ٦٧ .

ومضمون البيعة سواءً كانت عامة أو خاصة هو الطاعة ، فمن يبايع الخليفة يتعهد بطاعته في المنشط والمكروه ، مالم يؤمر بمعصية . ومن يبايع أمير ما فإنه يعاهده على الطاعة في غير معصية الله ، لذلك قلت إن البيعة هي الطاعة . والفرق بين بيعة الخليفة (العامة) وبيعة أمير ما (الخاصة) أن البيعة الأولى لا يجوز الخروج عليها ، وفيها جاءت النصوص ((من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية)) [مسلم ١٨٤٨ في الإمارة] . أما البيعة الخاصة فإن نقضها لا يزيد عن كفارة اليمين كما يقول العلماء .
والطاعة هي البيعة عندما يتحقق فيها هذه الشروط :-

- ١- أن تصدر من المطيع تلقائياً بدون إكراه .
 - ٢- أن يقصد بها المطيع رضا الله عزوجل .
 - ٣- أن يكون المُطاع مسلماً .
- فالشاب المسلم يطيع والديه رغبة في ثواب الله عزوجل ، بدون قسر من أحد ، وتجده يباليغ في طاعتهما ، ويحذر مخالفتهما ، طمعاً في ثواب الله عزوجل ، وهكذا تكون الطاعة بيعة .

البيعة في المجتمع المسلم

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لائحة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) [مسلم ، الإمارة] ، ويقول الإمام النووي - رحمه الله - أي مات على صفة من صفات أهل الجاهلية ، وهي أنهم فوضى لا إمام لهم .
وبعد مقارنة الجاهليين بالمسلمين نجد أن الكفار لهم رؤساء وحكام يطيعونهم خوفاً من قانون العقوبات ، أو طمعاً في مصلحة دنيوية ، وهذا يسمى حاكماً أو سلطاناً ، ولا يسمى إماماً ، لأن الإمام من يطاع رغبة في ثواب الله عزوجل ، كطاعة المسلمين للخليفة ، أو من يستعمله الخليفة ، أو طاعة الأبناء للوالدين .
وهذا هو الفرق بين المجتمع المسلم وغير المسلم ، فالمواطن المسلم يطيع الإمام ونائبه من تلقاء نفسه طمعاً في ثواب الله

عزوجل ، لذلك تتحقق الطاعة عنده في السر والعلن ، والأمثلة كثيرة جداً منها تلك الفتاة التي طلبت منها أمها أن تمزج اللبن بالماء فرفضت طاعة أمها لأنها أمرتها بمعصية ، وأطاعت أمر الإمام دون أن يراها الإمام أو من ينوب عنه ، وقالت : إن كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا . وهكذا تكون الطاعة في المجتمع المسلم ، فكيف يربي البيت المسلم أولاده وبناته على هذه الطاعة ؟ .

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ((... إنه لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة ، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم ، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاك له ولهم)) [الدارمي ، ١ / ٧٩] . يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ((لقد وضح أن ثلثي أحكام الفقه الإسلامي إنما يناط تنفيذه بجهاز الحكم في المجتمع المسلم))^(١) . ويقول ابن تيمية يرحمه الله : ((... فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعض الناس إلى بعض ، ولا بد عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم))^(٢))) (فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل ، وإقامة الحج ، والجمع ، والأعياد ، ونصر المظلوم ، وإقامة الحدود ، لا تتم إلا بقوة وإمارة))^(٣) .

ويقول ابن تيمية أيضاً : ((فقد أوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، منبهاً على سائر أنواع الاجتماع)) (ص ١٦١) ، ويقول الشوكاني في نيل الأوطار (٢٦٥/٨) : ((وهذا شرع لثلاثة في فلاة أو مسافرين ، فشرعيته

(١) محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٤١ .
(٢) جامع الأصول ، (١٨ / ٥) ، وقال الأرنؤوط : أخرجه أبو داود في الجهاد وإسناده حسن

(٣) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١٥٣ .

لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ، ويحتاجون لدفع التظام
وفصل التخاصم أولى وأحرى)) .

من الطاعة إلى البيعة

ينشأ الطفل في البيت ، وينغرس فيه أن طاعة الوالدين من
طاعة الله عزوجل ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما أن رسول الله ﷺ : قال ((رضا الرب في رضا الوالد ،
وسخط الرب في سخط الوالد))^(١) .

ثم يدخل الطفل المدرسة بعد أن غرس البيت في ذهنه أن طاعة
المدرس مثل طاعة الأب ، لأن المدرس هو الأب الروحي للطالب
فعليه طاعته . وفي المدرسة يتعلم الطالب أن طاعة ولي الأمر من
طاعة الله عزوجل ، وقد أمر بها الله سبحانه وتعالى فقال عزوجل
: { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
منكم ... } ، فقد أخرج البخاري يرحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : ((من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني
فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير
فقد عصاني))^(٢) . ويقول سبحانه وتعالى : { من يطع الرسول فقد
أطاع الله ... } [النساء ٨٠] .

وهكذا ننتقل منطقياً وتربوياً مع نشأة الطفل ، من طاعته لوالديه
بعد ربطها بطاعة الله عزوجل ، إلى طاعته لولي أمره مع ربطها
بطاعة الله عزوجل ، وبذلك نصل إلى مجتمع مسلم ، ينفذ أفراده
واجباتهم طمعاً في ثواب الله عزوجل ، ويمتنعون عن مخالفة
الشرع وما أمر به ولي الأمر مخافة عقاب الله سبحانه وتعالى الذي
يراهم ، حتى لو غفل ولي الأمر عنهم ، كما هو حال الفتاة التي
امتنعت عن خلط اللبن بالماء ، لأن أمير المؤمنين نهى عن ذلك ،
ولأن الله يراها .

(١) الترمذي (١٩٠٠) في البروالة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وإسناده صحيح ،
وصححه ابن حبان والحاكم . (جامع الأصول ٤٠١/١) .

(٢) البخاري (٩٩/١٣) في الأحكام ، ومسلم في الإمارة ، وفي جامع الأصول (٦٤/٤) ،
والنسائي (١٥٤ / ٧) .

وسائل البيت المسلم لغرس فضيلة الطاعة عند الناشئة

ينتظر من البيت المسلم المعاصر أن يغرس في الناشئة فضيلة الطاعة ؛ التي تتحول عند الشباب إلى البيعة ، وعندئذ نقف عند بداية نهاية الضياع الذي تعيشه الأمة المسلمة ، ونخرج من الفوضى والفرقة والتناحر إلى المجتمع المسلم الذي شبهه رسول الله ﷺ بالنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . ومن هذه الوسائل : تأكيد قوامة الرجل في البيت المسلم ، وطاعة الأب (أميرالبيت) هي طاعة الله عزوجل ، وتأکید البيت أمام أولاده على طاعة المدرس المسلم ^(١) . ومدير المدرسة المسلم ، وطاعة الأب لرئيسه في العمل ، وطاعة الأب لأمير البلد وتنفيذ تعليماته أمام أعين الأولاد .

١- قوامة الرجل في البيت المسلم

البيت مجتمع صغير ، والأب أميره ، وليست الأم لأن الله عزوجل يقول { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم } [النساء : ٣٤] . والزوجة المسلمة تتقرب إلى الله عزوجل بطاعة زوجها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((لو كنت أمرأ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها)) [أخرجه الترمذي برقم ١١٥٩ ، وصححه] والسجود تمام الطاعة ، أي أن الزوجة لا تخالف زوجها ، وتطيعه في غير معصية الله عزوجل .

وقوامة الأب في الأسرة من القيم الإسلامية الأساسية ، ويجب على الأم المسلمة أن تكون قدوة حسنة لبناتها ، فتنخرس في نفوسهن فضيلة الانقياد للزوج عندما يصبحن أمهات في المستقبل . وقوامة الرجل في الأسرة صفة أساسية من صفات الأسرة المسلمة ، الأسرة المتزنة التي تقدم للأمة جيلاً صالحاً ، لذا يجب على البيت المسلم أن

(١) يرى الباحث أن مهنة التدريس يجب أن تكون وفقاً على المسلمين في المجتمع المسلم ، فلا يجوز لغير المسلم ممارستها ، مثلها مثل الخدمة العسكرية لأنها جهاد وغير المسلم لاجهاد عليه .

يربي بناته على قوامه الرجل ، وهذه بعض المعالم عليها تساعد في هذه المهمة .

١- إذا طلب الأطفال من أمهم أمرما (كالذهاب إلى الحديقة مثلاً) ، فلا بد أن تترئف في اتخاذ القرار بمفردها ، وعليها أن تقول لهم : نستأذن أباكم عندما يعود إلى البيت ، فهو أميرنا ، وإذا سمح لنا نذهب كما نريدون ، ومع تكرار التلقين تنغرس هذه القيمة المزدوجة عند الأطفال وهي :-

أ - طاعة الأولاد لأبيهم ، وعدم الخروج من المنزل إلا بإذنه ومعرفته .

ب - طاعة الزوجة لزوجها ، وترسيخ مبدأ قوامه الرجل عند البنات في الأسرة .

٢- تطلب إحدى صديقات الأم منها زيارة صديقة ثالثة لهما فتجيبها الأم على مسمع من أولادها وبناتها سأطلب من زوجي إذناً فإن وافق لي ذهبت معك ، وعندما تطلب هذا الإذن يفضل أن يكون أمام الأولاد ، فإذا سكت لا تلح عليه ، وتخبر صديقتها أمام أطفالها بأن زوجها لم يسمح لها . وتحرص الأم على أن لا تخرج من البيت بدون إذن زوجها .

٣- عندما يأمر الأب أفراد الأسرة بأمر ما ، تسارع الأم إلى تنفيذ الأمر ، لتكون قدوة صالحة أمام أطفالها ، وحثهم على سرعة التنفيذ ، وعندما يشعر الأطفال بذلك يتربون على معنى قوامه الرجل في الأسرة .

٤- تلقن البنات في البيت المسلم هذه القيم الإسلامية مثل الآية الكريمة { الرجال قوامون على النساء } والأحاديث الشريفة التي تؤمر الزوجة بطاعة زوجها .

وهكذا يتضح لدى الأولاد أن أسرتهم (مجتمعهم الصغير) له أمير واحد (وهو الأب) ، وأن طاعة هذا الأمير واجبة ، وتتقرب أمهم إلى الله بهذه الطاعة ، فيقلد الأولاد والبنات أمهم ، ويتقربون إلى الله بطاعة والدهم .

ويأمر الأب الأولاد والبنات بطاعة أمهم ، ويبين لهم ثواب الله على ذلك ، وكلما سمع الأم تطلب شيئاً من أحد الأولاد ؛ يبادر الأب إلى القول : أطع أمك واحرص على رضاها فيرضى الله عليك . وهذا تدريب على طاعة أوامر الأمير فيما بعد .

طاعة الوالدين من طاعة الله وهذا أساس البيعة

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد))^(١) .

وعنه أيضاً قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد ، فقال : ((أحيي والداك ؟ قال : نعم ، قال ففيهما فجاهد))^(٢) .

وأخرج مسلم - رحمه الله - برقم (٨٧) عن عبد الرحمن بن بكرة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور)) أو قول الزور وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . ويقول الإمام النووي - رحمه الله - وأما عقوق الوالدين فهو مأخوذ من العق وهو القطع أي شق عصا الطاعة لوالده ، وقد حرم على الولد الجهاد بغير إذنهما لما يشق عليهما من توقع قتله أو قطع عضو من أعضائه ، ولشدة تفجعهما على ذلك ، وألحق بذلك كل سفر يخافان فيه على نفسه ، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع كونه ليس بالأفعال الواجبة ، وربما قيل طاعة الوالدين واجبة في

(١) الترمذي (١٩٠٠) في البر والصلة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وإسناده صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم . (جامع الأصول ٤٠١/١) .

(٢) البخاري (في الجهاد ، وفي الأدب) ومسلم (٢٥٤٩) في البر والصلة وأخرجه الجماعة إلا الموطأ . ومحل الشاهد هنا أن الجهاد فيه ثواب عظيم من عند الله عز وجل ، وطاعة الوالدين وخدمتهما فيها ثواب أكبر من ثواب الجهاد عند الله عز وجل - والله أعلم - قال جمهور العلماء : يحرم الجهاد إذا منع الوالدان أو أحدهما ابنتهما منه ، شريطة أن يكونا مسلمين ، لأن برهما فرض عين ، والجهاد فرض كفاية ، فإذا تعين الجهاد (صار فرض عين) فلا إذن .

كل ما ليس بمعصية ، ومخالفة أمرهما في ذلك عقوق ، وقد أوجب كثير من العلماء طاعتها في الشبهات . وقال الشيخ الإمام محمد بن عبد السلام لا تحجب طاعتها في كل ما أمران به وينهيان عنه باتفاق العلماء . [شرح النووي / ٤٤٦] .

وهكذا يتضح من النصوص الكثيرة أن طاعة الوالدين والسعي من أجل كسب رضاها واجبة على المسلم ، والمسلم العاقل يسعى جاهداً لكسب رضاها ، ليفوز بالنهاية برضا الله عزوجل وهو غاية ما يرجوه المسلم .

ربط طاعة الوالدين بطاعة الله عزوجل

قال تعالى : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسان ... } جاء في أضواء البيان [٤٩٦/٣] أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة بإخلاص العبادة له وحده ، وقرن ذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وجعل بر الوالدين مقروناً بعبادته وحده جل وعلا ، المذكور هنا ذكره في آيات أخر كقوله في النساء : { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً } وفي سورة البقرة : { وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وفي سورة لقمان : { أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير } .

وفي ظلال القرآن يقول سيد قطب - رحمه الله - عند قوله تعالى في سورة النساء ٣٦ : { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين ... } يلي الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ؛ الأمر بالإحسان إلى تلك المجموعات من الأسرة الخاصة ، والأسرة الإنسانية ... لربط هذا كله بالتوحيد ... من العقيدة في الله تتبع كل التصورات الأساسية للعلاقات التي تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... والتي تجعل المعاملات عبادات .

وهكذا يتضح لنا أن طاعة الوالدين والإحسان لذوي القربى والمساكين والجار ... ومنها كذلك طاعة الأمير المسلم كل ذلك ينبثق عن طاعة الله عزوجل وإفراده بالعبادة .

وعندما تتربى الأجيال من أولاد وبنات على هذه الفضيلة ، تنغرس لديهم فضيلة الطاعة ، التي تتطور فيما بعد من طاعة الوالدين إلى طاعة الأمير ثم الإمام المسلم ، لأن في كل منهما النصوص الواضحة والثابتة .

طاعة الأمير المسلم من طاعة الله وهذه هي البيعة

قال تعالى في كتابه العزيز : { من يطع الرسول فقد أطاع الله ... } [النساء : ٨٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني))^(١) .

هذه نصوص واضحة لا يختلف عليها إثنان ، ومثلها النصوص المتعلقة بطاعة الوالدين ، والمسلم العاقل يعرف أن مخالفة الوالدين عقوب من أكبر الكبائر ، ومخالفة الأمير إثم ومعصية لله عزوجل .

قال ابن حجر : ((وفي رواية : ومن أطاع الأمير وهو كل من يأمر بحق ، وكان عادلاً فهو أمير الشارع لأنه تولى بأمره وبشريعته)) ، قال ابن التين : ((كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة ، فكانوا يمتنعون على الأمراء ، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم والانقياد لهم إذا بعث السرايا ، وإذا ولاهم البلاد ، فلا يخرجوا عليهم لئلا تفترق الكلمة ، وفي الحديث وجوب طاعة الأمير وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية ، والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد .

تأكيد البيت المسلم لأولاده على طاعة المدرس المسلم

ومن أجل نقل اتجاه الطاعة من الوالدين ليشمل المدرس ومدير العمل فيما بعد ، يكرر الوالدان على مسامح أولادهم وجوب طاعة المدرس والمدرسة . ويكرر الوالدان زيارة المدرسة للتأكد من

(١) البخاري (١١٩ / ١٣) ، رقم (١٧٣٧) ، في الأحكام ، ومسلم (١٨٣٥) في الإمارة .

سلامة موقف أولادهم تجاه المدرس ^(١) . ويربط الوالدان بين المدرس والوالد أو الوالدة ، من أجل توسيع طاعة الوالدين لتشمل المدرسين . ويضاف مدير المدرسة والمراقبين ويوسع مفهوم المدرس ليشملهم . ويذكر الوالدان أولادهم بأداب المتعلم ومنها كما يقول الغزالي في الإحياء (٥٠/١) والوظيفة الثالثة أن لا يتكبر على العلم أو المعلم ، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويزعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب الحاذق المشفق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ^(٢) .

ويقول الزرنوجي : ومن تعظيم العلم تعظيم الأستاذ ، قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أنا عبد من علمني حرفاً واحداً ، إن شاء باع وإن شاء استرق ، ومن توقير المعلم أن لا يمشي أمامه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه ، ولا يكثر الكلام عنده ، ولا يسأل شيئاً عند ملالته ، ويراعي الوقت ، ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج الأستاذ ، وحكي أن هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه الأدب والعلم فراه يوماً يتوضأ ويغسل رجله ؛ وابن الخليفة يصب الماء على رجله ، فعاتب الرشيد الأصمعي بقوله : إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه ، فلماذا لم تأمره أن يصب الماء بيد ويغسل رجلك باليد الثانية ؟ ^(٣) .

طاعة الأب مديره وتنفيذه أوامر أمير البلد

ومما يوسع مفهوم طاعة الوالدين ليشمل رئيس العمل الذي يمارسه الإنسان ؛ أن يذكر الأب أمام أولاده أنه يطيع مديره ، ويحترمه وينفذ أوامره ، ويبين لأولاده بشكل عملي أنه لا يتأخر عن

(١) وفي واقع الأمر لا تتم العملية التربوية بشكلها الصحيح إلا إذا أطاع الطالب المدرس في غير معصية الله ، ومن أسباب تفهقر العملية التربوية المعاصرة انحسار احترام المدرس من قبل الطلاب ، لانخفاض قيمته الاجتماعية حيث انقلبت موازين المجتمع بسبب غلاء المعيشة ، وانحدرت مكانة المدرس الاجتماعية إلى ما دون الحرفي والفلاح الذي يملك قطعة صغيرة من الأرض ، واضطر المدرس أحياناً كثيرة للقيام بأعمال أخرى إضافة إلى التدريس ليسد عجزه المعيشي .

(٢) وهذا هو محل الشاهد وهو أن يطلب ثواب الله عندما يتواضع لمعلمه ويخدمه ويطيعه .

(٣) برهان الدين الزرنوجي ، ص ٧٨ .

دوامه في الصباح طاعة للمدير ؛ لأن في هذه الطاعة ثواباً عند الله عزوجل . ويوضح لهم أن طاعته لمديره (أميره) طاعة لرسول الله ﷺ ، وطاعة الرسول ﷺ طاعة لله كما ورد . كما ينشط الأب والأم وسائر أفراد الأسرة إلى تنفيذ أوامر أمير البلد واحترام القوانين العامة كقوانين المرور مثلاً ، وإذا خالف أحد المارة إشارة المرور في مشهد من الأولاد يعلق الأب على ذلك ، ويبين أن هذا المخالف يأثم لأنه لم يطع الأمير ، ويلتزم الأب بقوانين المرور من فحص السيارة والتقييد بإشارات المرور ، ويبين لأولاده أنه يفعل ذلك طمعاً في ثواب الله عزوجل . لا خوفاً من القوانين المرورية فقط.

كما ينشط الأب وسائر أفراد الأسرة إلى تنفيذ ما يطلبه أمير البلد كالدعوة إلى صلاة الاستسقاء ، أو الدعوة للتبرع إلى المسلمين في بلد ما ، أو عدم الإسراف في استعمال الماء والكهرباء وتوفيرهما ، ويعلق على أفعاله تلك بأنها تقرب إلى الله عزوجل .

خلاصة

وهكذا نبدأ بغرس طاعة الوالدين ، ثم نربطها بطاعة الله عزوجل ، ونلقن الأطفال أن طاعتهم للوالدين فيها ثواب من الله عزوجل ، ثم ندخل طاعة المدرس مع طاعة الوالدين ، ثم مدير المدرسة ، فمدير العمل ، ثم طاعة أمير البلد . وهكذا نربي أفراد مسلمين لمجتمع مسلم ، يقوم بالبيعة ويؤدي حق الله عزوجل فيها . ويكون كالبنيان المرصوص كما قال عنه رسول الله ﷺ . وعندما نربي مسلمين يطيعون والديهم طاعة لله عزوجل ، ويطيعون مدرسهم طاعة لله عزوجل ، ويطيعون أمراءهم طاعة لله عزوجل ، عندئذ نصل إلى المجتمع المسلم الذي وصفه رسول الله ﷺ بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الفصل الثالث

الشورى

الشورى أهم الخصائص التي تميز سياسة المجتمع المسلم عن المجتمعات الجاهلية ، وقد ورد ذكرها في كتاب الله عزوجل : { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون } [الشورى ٣٨] .

ولأهمية الشورى جعلها ربنا سبحانه وتعالى في أمر واحد بين الصلاة والزكاة ، وهذه الثلاثة من صفات الذين استجابوا لربهم ، وسورة الشورى مكية أي أن الشورى صفة لكل فرد مسلم أيضاً ، وليس للأمير فقط ، وأن الشورى ملازمة للدعوة الإسلامية ، في مراحلها كلها عند تربية الفرد المسلم ، وعند تكوين الجماعة المسلمة ، وعند إقامة الدولة المسلمة ، وهي فريضة واجبة على الحاكمين والمحكومين ^(١) . ويقول القرطبي قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه .

وقال ابن تيمية في السياسة الشرعية : لا غنى لولي الأمر عن المشاورة ، فإن الله أمر بها نبيه ﷺ ، وروى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله) [الترمذي ٢١٣/٢] . وكان يستشير أحياناً في قضاياها الخاصة وشئون أهل بيته ^(٢) ، حتى إن المشركين عيروا رسول الله ﷺ وقالوا عنه (أذن) أي يسمع كلام أصحابه كثيراً ، وهذا دليل على كثرة مشاورته ﷺ لأصحابه ، وكان يأخذ بمشورتهم ولا يستبد برأيه دونهم .

وعندما نقول الشورى صفة لكل فرد مسلم ، فالفرد مسؤول عن نفسه ويجب أن يشاور من هم أعرف منه في قيادة نفسه وسياستها ،

(١) عبد الله قادري ، ص ٢٧ .

(٢) محمد عبد القادر أبو فارس ، ص ٩٣ .

لأنه مسؤول أمام الله عن نفسه ، وكل فرد مسلم رب أسرة مسؤول أمام الله عن سياستها ، وعليه أن يشاور أفرادها وأهل المعرفة والخبرة من أجل حسن سياستها وقيادتها إلى رضوان الله في الدنيا والآخرة . والمسلم الذي جعله الله مديراً لمدرسة أو مؤسسة أو وزيراً أو أميراً مسؤول أمام الله عن حسن سياسة ما جعله الله تحت قيادته ، وعليه أن يشاوركي يقود رعاياه إلى الخير في الدنيا والآخرة .

ونريد أن يتدرب كل فرد مسلم على الشورى منذ الصغر ، ليسوس نفسه أو أسرته أو من استرعاه الله عليهم ، أما إذا نشأ الفرد على الأنانية والاستبداد فهذه من أكبر مصائب المسلمين المعاصرة ؛ لأنه ولو حاول أن يستشير فإن طبعه الفردي الذي نشأ عليه يغلبه ؛ ولا يستفيد من الشورى . نسأل الله أن يخلصنا من هذا الداء ويصلحنا ويردنا إلى دينه رداً جميلاً .

الشورى صفة للفرد المسلم

مما يلفت النظر أن كثير من المسلمين ، لا يزالون يحصرون الإسلام في الشعائر التعبدية فقط ، ولا تزال هذه الصورة الكنسية للدين تستعمر عقولهم ، وقليل من المسلمين يخطر في باله أنه يأثم إن لم يشاور ، فكل مسلم فرضت عليه الشورى - كما سنرى - وقليل من المسلمين يشاورون ، وقليل ممن يشاورون يلتزمون بالشورى .

ولا يخطر في ذهن كثير من المسلمين أن يهمل صلاة واحدة والحمد لله على ذلك لأن الصلاة فريضة ، وإن فاتته لعذر كالنوم مثلاً ؛ أسرع إلى قضائها، واستغفر ربه عما حصل ، وآلمه ذلك ، ولو تأخر المسلم في سحوره مثلاً سارع إلى العلماء يسألهم هل صح صيامه ؟ أو ماذا يفعل ؟ وكذا في الزكاة والحج ، وهذه من نعم الله على المسلمين ، ومما يسر المسلم أن يرى ذلك ، لكن لماذا يهمل المسلم الشورى ؟ مع أنها مفروضة عليه كذلك ؟ تجده يهملها عن قصد أو عن جهل ، ولا يشعر بغضاضة في ذلك ، كما يهمل

البيعة دون أن يتألم كما تألم عندما يفوته وقت الصلاة ، وسبب ذلك الفهم الجزئي للإسلام الذي كرس أعداؤنا وقتهم وعمرهم ليزرعوه في المسلمين ، وقد نجحوا إلى حد كبير . فلا يزال مفهوم الإسلام الشامل سطحياً لدى المسلم المعاصر ، ومفهوم الانقياد التام لله عزوجل ، فالمسلم عبد الله عزوجل في صلاته وصومه وزكاته وحجه ، وفي علاقته بنفسه وزوجته ، وفي علاقاته بالمجتمع (السياسة) ، وفي بيعه وشرائه ، وسائر شؤون حياته ، هذا هو الانقياد التام لله عزوجل .

أمرنا ربنا بالشورى في سورة مكية ، عندما لم تكن هناك دولة ، ولم يكن سوى عشرات من الأفراد المسلمين ، ونفهم من ذلك أن الشورى صفة لكل مسلم ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ، وهي مسؤولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)) قال فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ ، وأحسب النبي ﷺ قال : ((والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته)) ، [جامع الأصول ، ٤/ ٥٠] ، وهكذا فالشورى مفروضة على الأمير وكل من هو على الناس ، كالوزير ومدير المدرسة أو مدير المؤسسة ، والمدرس في الفصل ، والأب أمير في البيت والشورى مفروضة عليه ، وتشاور المرأة زوجها وأولادها في شؤون بيتها ، ولا تنفرد برأيها في الأسرة ، كما لا ينفرد الأب برأيه في أسرته ، ويشاور الموظف غيره ليقوم بواجبه خير قيام ، ويتدرب الصغار على الشورى في البيت والمدرسة ^(١) . وقد قرن الله عزوجل الشورى بالصلاة والزكاة فدل على أن حكمها كحكم الصلاة ، فقال تعالى : { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم } [الشورى ، ٣٨] ، وقال صاحب الظلال : (والتعبير يجعل

(١) انظر فصل التربية السياسية في البيت المسلم ، في كتاب دور البيت في تربية الطفل المسلم ، للباحث .

أمرهم كله شورى ، لصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة ، وهو كما قلنا نص مكي ، كان قبل قيام الدولة الإسلامية (١) .

٢- الشورى خلق إسلامي

جاء في الحديث القدسي قوله تعالى : ((... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ...)) (٢) . إنما تعود الفوائد على العباد ، ومن هذه الشورى ، فقد فرضها الله عزوجل على المسلمين لأنها تعود عليهم بالخير والمنفعة في الدنيا والآخرة . وقد خلق الله الإنسان - وهو أعلم بما خلق - إذ ركب فيه دافع الأنانية وحب الذات ، ليحفظ الإنسان ذاته ، وجعل الله هذا الدافع في جميع الكائنات الحية ، وجعل الغريزة في النبات والحيوان ليمارس كل منهما دافع الحياة بشكل موزون ، أما الإنسان فأعطاه العقل وجعله يتحكم في غريزته ، ليوازن حياته بعقله ، (وغاية ما يصل إليه العقل اتباع الشريعة) ، ولكن الإنسان يضعف أحياناً ويهمل عقله ، فتغلبه غرائزه وشهواته ويتضخم عنده حب الذات. ونلمس حب الذات متضخماً عند الكفار والملحدين ، حيث أنهم يظنون أن الدنيا هي الفرصة الوحيدة ، لذلك يسارع أحدهم إلى الشهوات فتتضخم ذاته ، وتزداد أنانيته ، حتى وصلت عندهم إلى قتل أولادهم بما يسمونه تحديد النسل ، حتى لا يشاركهم هؤلاء الأولاد في ملذاتهم .

والشورى من كوابح حب الذات والأنانية ، وربط للفرد المسلم بإخوانه المسلمين ، فتصبح جماعة متماسكة بعد أن كبحت أنانيات أبنائها . والشورى إذن خلق إسلامي ، والمسلم الذي لا يتصف بالشورى ناقص الإيمان ، وفي أخلاقه فجوة كبيرة خطيرة ، ولا تظهر هذه الفجوة إلا إذا صار أميراً أو مسئولاً، فتراه يفرض عليهم أنانيته وحبه لذاته ، والشورى صفة إسلامية ؛ تحلى بها رسول الله ﷺ ، والمنافقون لا تعجبهم الصفات والأخلاق الإسلامية لذلك عابوا

(١) محمد عبد القادر أبو فارس ، ص ٩٠ .

(٢) جامع الأصول ٣/١١ ، مسلم رقم ٢٥٧٧ في البر والصلة ، باب تحريم الظلم .

على رسول الله ﷺ ذلك الخلق ؛ وقالوا عنه : (أذن) أي يسمع ما يقوله أصحابه ويصدقهم ، قال تعالى : { ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم } [التوبة ٦١] .

٤- الشورى ملزمة والاستشارة معلمة

من أكثر القضايا السياسية التي دار حولها الخلاف والمناقشة في عصرنا ؛ إلزامية الشورى ، وانقسم المفكرون إلى فئتين : إحداهما تقول بإلزامية الشورى ، والثانية ترى أن الشورى معلمة وغير ملزمة .

وتكون الشورى ملزمة عندما يلتزم الأمير برأي أكثرية أهل الشورى عندما يخالف رأيه ، فيلتزم برأيهم وينفذه ، وتلتزم الأقلية برأي الأكثرية وتنشط لتنفيذه، كما فعل رسول الله ﷺ يوم أحد . والشورى معلمة وغير ملزمة عندما يسمع الأمير آراء أهل الشورى ، فيوسع مداركه ومعرفته بالقضية ، ثم يختار الرأي الذي يراه أصوب حسب قناعته هو ، كما أنفذ الصديق جيش أسامة ، على الرغم من مخالفة أهل الشورى له بالرأي .

وقد فصل الدكتور توفيق الشاوي هذه المصطلحات ، ورأى أن عدم التمييز بينها سبب ذلك الجدل الطويل عن الشورى الملزمة والمعلمة ، وهذه خلاصة لما قال : -

أولاً - الشورى الملزمة ومن أمثلتها :

١- تشاور أهل الحل والعقد بشأن قرار سياسي أو اجتماعي .. إلخ : مثل اختيار رئيس أو ولي أمر ، أو أي شأن من الشؤون العامة ، وصدر قرار بالإجماع أو الأغلبية منهم ، فقرارهم في هذه الحالة ملزم . ومن الأمثلة على ذلك شورى الرسول ﷺ لأصحابه يوم بدر في قتال قريش بعد أن أفلتت منهم القافلة ، وشوراه ﷺ يوم أحد ، فقد نفذ الرسول ﷺ رأي الأغلبية بالرغم من أنه لم يكن مرتاحاً إليه .

- ٢- تشاور أهل الحل والعقد لوضع نظام دستوري ، وكان القرار بإجماع الجمهور (الأغلبية) فهذا ملزم أيضاً .
- ٣- قرار المجتهدين وأهل العلم باستنباط حكم فقهي ، لم يرد بشأنه نص في الكتاب والسنة ، إذا صدر بالإجماع فهو ملزم وهو تشريع عندما تجمع عليه الأمة .

ثانياً - الاستشارة المعلمة ومن أمثلتها :

- ١- طلب الفرد مشورة غيره في أمر شخصي ، فالفرد المستشار غير ملزم بما أشار به المستشار .
- ٢- إذا طلبت هيئة (أهل الحل والعقد مثلاً) أو شخص ، أو مؤسسة ما استشارة خبير ذي اختصاص ، للاستعانة برأيه في اتخاذ القرار ؛ فإنها غير ملزمة بما أشار به هذا الخبير .
- ٣- طلب الحاكم أو القاضي استشارة من خبير أو مستشار أو مجتهد ، فإنه غير ملزم بما أشار به . ومن أمثلة ذلك :-
- أ - استشارته ﷺ بعض أصحابه في حديث الإفك ، وهو قضية شخصية .
- ب - الاستشارة التي قدمها الحباب بن المنذر يوم بدر بتغيير المكان الذي نزل فيه الجيش ، فقد أخذ به الرسول ﷺ لاقتناعه به ، وليس لأنه ملزم .
- ج - استشارة الرسول ﷺ بعض أصحابه في أسرى بدر ، وقد أخذ الرسول ﷺ برأي أحد مستشاريه عندما اقتنع به ، ولم يكن ملزم له .
- د - اقتناعه ﷺ برأي سلمان ﷺ يوم الأحزاب فحفروا الخندق حول المدينة .
- هـ - استشار ﷺ السعدين رضي الله عنهما يوم حصار الأحزاب للمدينة في المصالحة مع بعض طوائف الأحزاب ، على أن يدفع لهم ثلث ثمار المدينة نظير جلائهم عنها ، ولكنه اقتنع برأيهما وعدل عن هذا الاقتراح (١) .

الشورى ضدها الفردية

(١) توفيق الشاوي ، ص ١٠١ ، ١٣٠ ، ١٣٣ .

وسوف نعرف مدى حاجتنا الماسة إلى غرس الشورى في نفوس أبنائنا منذ الصغر ، عندما نعرف أن الفردية ضد الشورى ، ونتذكر كم نعاني ونقاسي من مرض الفردية في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة .

ففي البيت المسلم نجد الأب أو الأم أحياناً يفرض قراره على الأسرة بالقوة ، ويطلب منهم تنفيذه وإلا أنزل بهم العقاب ، وفي المدرسة نجد المدرس الذي يكلم أفواه طلابه ولا يسمح لهم بمناقشته ، وإنما يفرض قراره بقوة العصا ، أو سلاح الدرجات أحياناً ، ويرى أن طلابه أقل من أن يناقشوه في أية مسألة تخصهم . والأمر نفسه بين مدير المدرسة والمدرسين فغالباً تجد المدير يقول : أنا أريد كذا وأرجو أن تنفذ . والأمر نفسه في مؤسسات المجتمع الأخرى ، فالداء ينتقل إلى الأطفال بالقوة السيئة التي يشاهدونها عند أسرته وفي مدرستهم ، حتى إذا كبروا كان معظمهم فردياً مستبداً بعيداً عن الشورى .

وعندما نقارن مجتمعاتنا بمجتمعات الغرب نجد أن أحد العوامل القوية التي جعلتهم يتفوقون علينا حضارياً وعسكرياً وسياسياً هو أنهم يشاورون بعضهم ، وتصدر قراراتهم عن دراسات ومؤتمرات ، وكان مرض الفردية أقل انتشاراً عندهم .

الانتخاب وسيلة الشورى

وعندما يتسع إطار المشاورة ؛ يلجأ إلى الاقتراع السري ، ولا بد من تعريف الناشئة المسلمة بأن الانتخاب أمانة وشهادة وولاء وبراء كما يقول الدكتور صلاح الصاوي تحت عنوان التكليف الشرعي لعملية التصويت^(١) : (إن هذه العملية (الانتخاب) تدرج تحت ثلاثة أبواب في الفقه الإسلامي وهي أبواب الأمانة والشهادة والولاء والبراء . فقد سبق أن ولاية أمور الناس من أعظم الأمانات ، وقد قال تعالى : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } [النساء : ٥٨] وإذا ثبت أن تولية أمور الناس من جنس الأمانات فقد

(١) في كتابه تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي ، ص ١٧٤ .

أمر الله عزوجل في هذه الآية وغيرها من أدلة الشرع بأداء الأمانات إلى أهلها ، وقد جعل النبي ﷺ إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله من علامات الساعة ، وجعل خيانة الأمانة خصلة من خصال النفاق (وإذا أوتمن خان) ، وبين أن من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أَرْضَى اللهُ منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . ولا يتحقق أداء هذه الأمانة إلى أهلها إلا بدفعها إلى القوي الأمين ، والقوة والأمانة في كل مكان بحسبه . والاختيار (الانتخاب) شهادة يتضمن تزكية وشهادة بأن هذا المرشح قد اجتمعت فيه القوة والأمانة اللازمة لأداء هذا العمل ، فهو أَرْضَى المرشحين لله ورسوله ، وأقومهم بتبعات ومهام العمل النيابي لذلك فهو أجدر من غيره بأن يقدم لهذا الموقع وأن تبذل له الأصوات التي تمكنه من الحصول عليه حتى يضطلع بأداء هذه الأمانة .

ولا يخفى أن أمر الشهادة أمر جلل ، فقد شدد النبي ﷺ في شهادة الزور وقال : ((عدلت شهادة الزور الإشراف بالله ، وجعلها من أكبر الكبائر ، والزور كما قال الثعالبي وغيره : تحسن الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل لمن سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به ، فهو تمويه للباطل بما يوهم أنه حق ^(١) .

إذا تمهد ذلك فقد علم أن هذا الاختيار إن لم يصادف محلاً فهو بمثابة شهادة الزور التي تعدل الإشراف بالله ، والتي تحل أصحابها دار البوار . كما أن اختيار أحد المرشحين في المعركة الانتخابية يعد دعماً له في مواجهة خصومه ، ونصرة له على منافسه ، وذلك محض الموالاة التي لا تنعقد إلا على أساس الإسلام ، ولا تشد أصرتها إلا على أساس الكتاب والسنة ، ويرى بعض العلماء أن الإمام المسلم يختار أعضاء الشورى وينتقيهم حسب الصفات المطلوبة في أهل الحل والعقد كالعلم والعدالة والرأي والكفاءة وغيرها .

كيف نربي أولادنا على الشورى

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٨١ ، ٨٢ .

القدوة الحسنة

للأب الأثر الكبير في تنشئة الأطفال على الشورى ، أو عكس ذلك ، ومن البدهي أن القدوة الحسنة أفضل طرق التربية ، فالأولاد يتشربون سلوك أبيهم بدون وعي ومنذ الصغر ؛ وينغرس فيهم هذا السلوك .

والبيت المسلم القوامه فيه للأب ، والأب المسلم أمير مشاور في أموره الخاصة ، وفي أمور البيت والأسرة ، وعندما يرى الأولاد أباهم يكثر من مشاوره أهم ، كما يشاورهم أيضاً ينغرس فيهم هذا السلوك ، وهذه بعض الأمثلة :-

- قد تبحث الأسرة عن مسكن جديد ، ويستدل الأب على مسكن ما ، ثم يعرض مواصفات هذا المسكن خلال اللقاء اليومي للأسرة ، ويحصل على رأي كل منهم بشكل عام عن الحي ، وقربه على المسجد والمدرسة ، وسكان العمارة ، وعدد الغرف والأجرة السنوية وغير ذلك ، ثم تذهب الأم مع الأب والكبار من الأولاد والبنات لمشاهدة المسكن الجديد وتفحصه جيد ، ثم يتداول الأمر مرة ثانية في اللقاء اليومي للأسرة ، ويدرب الأولاد على عرض الإيجابيات ثم السلبيات لهذا المسكن ، ومقارنته بالمسكن الحالي ، أو المسكن الجديد الآخر إن توفر ، ثم يتخذ القرار بالموافقة أو عدمها ، بالإجماع أو الأكثرية .

- قد تبدل الأسرة سيارتها ، وتتوي شراء سيارة غيرها ، فتطرح القضية للمناقشة في لقاء الأسرة ، ويقترح كل منهم نوع السيارة المرغوبة ومواصفاتها ، ثم يوضح الأب أو الأم أو كلاهما الإيجابيات والسلبيات في كل مقترح ، وبعد المداولة يطرح الأب أو الأم مشروع قرار ، كي يصوت عليه أفراد الأسرة ليصبح قرار يقضي بشراء سيارة نوع كذا و (موديل) كذا ولون كذا .

- في الإجازة السنوية يطرح الأب على الأسرة في لقائها اليومي ، أن وقتهم وميزانيتهم تسمح بقضاء عطلة مدتها (كذا) يوم ، وميزانيتها (كذا) ريالاً ، وضمن هذه الحدود يقترح أفراد الأسرة

المكان المرغوب لقضاء العطلة ، وبعد المداولة وإظهار إيجابيات وسلبيات كل مقترح ، يتخذ القرار .
ومن البدهي أن الأب يشاور الأم مشاورة حقيقية ، فالأم لها (حق الفيتو) ، أما الأولاد الكبار فمشاورتهم أقرب إلى الاستشارة (١) .
كما أنها تهدف إلى تدريبهم وتنمية المسؤولية عندهم ، وأما الأولاد الصغار فالغرض من مشاورتهم التدريب فقط ، ومن السهل تبديل قناعاتهم عندما يوضح لهم الوالدان ذلك ، حتى تكون مشاركتهم فعالة ونافعة .

مشاورة الأولاد والبنات عند شراء حاجاتهم

ولتحسين الناشئة ضد الفردية والاستبداد يجب على الوالدين مشاورة الولد أو البنت عند شراء ثيابهم أو دفاترهم وسائر حاجاتهم ، وقد تكون رغبات الطفل غير ناضجة ؛ فقد يرغب بنوع رديء ، وعلى الوالدين إقناعه بالحجة أن هذه الأنواع الأخرى (عدة اختيارات وليس اختيار واحد) كلها أفضل مما اختاره بنفسه ، فعندما يختار الطفل حقيبة لونها جميل وقد أعجبه هذا اللون ؛ إلا أن جلدها سيئ وغير متين ، عندئذ نشرح ذلك للطفل ، ونقترح عليه عدة اختيارات تتضمن هذا اللون الجميل الذي أعجبه ، لكنها من جلد متين وصناعة جيدة ، ونسمح له بعد ذلك بتحديد ما يريد من خلال عدة اختيارات وضعناها أمامه . ومثل ذلك في الثياب والأحذية وغيرها .

حتى إذا دخل الأولاد والبنات البلوغ توسع الاختيارات أمامهم ، وعلى سبيل المثال يقول لهم أحد الوالدين ، ميزانية الأسرة تسمح بشراء حذاء لا يزيد ثمنه عن (كذا) ريالاً ، وقد يقدم الوالدان عندئذ مجرد نصائح كأن لا يكون مثل الحذاء السابق الذي تمزق بسرعة ، ومثل ذلك .

لا يتخذ الوالدان قرار فردي

(١) المستشار يقدم رأيه للمستشير ولا يلزمه به .

ولتأكيد المبدأ ينبغي أن يحذر الوالدان من القرارات الفردية ، فإذا سأل أحد الأولاد أباه ؟ هل يسمح له بشراء دراجة من ماله الخاص مثلاً ؟ عندئذ ننصح الأب أن لا يتسرع باتخاذ القرار بالموافقة أو عدم الموافقة ، وإنما يقول له : لا بد من مشاورة أمك وبقية إخوانك ، وفي لقاء الأسرة اليومي يطرح الأب هذا المقترح ويطلب مناقشته واتخاذ قرار بشأنه .

وقد يتعجب كثير من الناس من هذا الكلام ، ويرون أنه مجرد خيالات وأوهام ، وسبب ذلك أن الفردية نمت في عظامنا ولحمنا ودمنا ، لذلك نستغرب مثل هذا السلوك ، أما من الناحية النظرية فهذا الكلام قابل للتطبيق ، وأدعو الله عزوجل أن يصل المسلمون إلى حالة مثل هذه الحالة وأفضل منها ، والله على كل شيء قدير .

دور الأم في الشورى

الأم سيدة البيت ، وعندما نشبه البيت بالدولة ؛ فالأم وزيرة الداخلية ، وهي المسؤولة عن شؤون المنزل الداخلية ، ومع ذلك لا تبدل الأم قطعة أثاث في المنزل إلا بعد مشاورة الأب أولاً ، وباقى أفراد الأسرة ثانياً ، وتعرض ذلك في لقاء الأسرة اليومي ، وتبين الحاجة إلى تبديل ترتيب أثاث إحدى الغرف ، أو تبديل توزيع الغرف ، أو شراء أثاث جديد ، ويتداول أفراد الأسرة هذا الاقتراح ، ويهتم به الأب ، ثم يتخذ القرار بشأنه .
حتى في صنف الطعام الذي تأكله الأسرة اليوم أو غد ، يستحسن أن يعرض ذلك على أفراد الأسرة كلهم أو بعضهم ، والهدف التدريب وتكوين العادة .

جلسة أسبوعية خاصة

في البيت المسلم درس يومي ، لتلاوة القرآن الكريم ، ودراسة الحديث الشريف ، وتعلم أحكام العبادات ، ودراسة السيرة النبوية وحياة الصحابة رضي الله عنهم ، وفي هذا اللقاء اليومي يمكن عرض القضايا المستعجلة ، أما ما يمكن تأجيله حتى نهاية الأسبوع ؛ حيث تكون جلسة أطول من بقية الأيام ، وفيها تدرس القضايا التي

تتطلب مداولة وشرح وتوضيح ، وفيها تتخذ القرارات التي تحتاج التصويت . يتصدر الأب رئاسة الجلسة ، وتتولى الأم أمانة سرها ، فتدون القرارات وتتابع تنفيذها ، ويسجل أفراد الأسرة مقترحاتهم لعرضها على مجلس الأسرة ومداولتها ، ومن الضروري أن تختتم الجلسة بالدعاء إلى الله عزوجل أن يعينهم على التنفيذ والمتابعة . إن أسرة مثل هذه تقدم مواطنين صالحين ، وضعوا الشورى منذ الصغر ، وتدريبوا على التعاون على البر والتقوى ، وكم يحتاج المسلمون إلى مثل هؤلاء المواطنين الصالحين .

تدريب الناشئة على الانتخاب

وتدرب الأسرة أولادها على الانتخاب المشروع ، كأن تختار الأسرة أحد أولادها الكبار للتسوق وشراء حاجات البيت ، فيشرح الوالدان مهمة التسوق ومتطلباتها والقدرات اللازمة للتسوق ؛ ثم يطلب من أفراد الأسرة أن يقترحوا بواسطة أوراق سرية ليختاروا من يرونه كفاءاً لهذه المهمة ، وبعد فرز الأصوات يعالج الوالدان بالحكمة والبيان الأصوات الشاذة .

وقد يقترح أفراد الأسرة على قرار معين كالذهاب في العطلة إلى مصيف ما ، حيث يرشح الوالدان مصيفين أو ثلاثة ، ويشرح الوالدان ميزات كل منها ، كما يعرف الأولاد بإمكانات الأسرة المالية ، ثم يجرى الاقتراع السري لانتقاء أحد هذه المصايف .

كما يستفيد الأب من المناسبات الانتخابية - إن حصلت - ويشرح للأولاد معنى الانتخاب ، وكيف يكون أمانة يجب أن تؤدي إلى أهلها ، وكيف يكون شهادة ، حيث يشهد الناخب أن هذا المرشح هو أرضى المرشحين لله ورسوله للقيام بهذا العمل ، مستفيداً من أمثلة الواقع .

والمدرسة هي البيئة الممتازة لتدريب الناشئة على الانتخاب ، حيث يتم في بداية العام الدراسي انتخاب مجلس الفصل المكون من رئيس للفصل ونائب للرئيس ، ومسؤول عن النشاط الثقافي وآخر عن الرياضي . ولا بد أن يقوم رائد الفصل بتعريف الطلاب بمهمة

رئيس الفصل ونائبه والمسؤولين عن الأنشطة ، ثم يطلب من طلاب الفصل أن يقترعوا سراً بعد أن يذكرهم أن الانتخاب أمانة وشهادة ويجب عليهم أن يؤديوا الأمانات إلى أهلها ، وأن يشهدوا شهادة حق ، ويحذرهم من شهادة الزور ويبين لهم خطرها .

الفصل الرابع

العدالة

سبق أن عرفنا أن التربية السياسية إعداد الفرد ليكون مواطناً صالحاً في المجتمع ، والمواطن الصالح في المجتمع المسلم ؛ هو الذي يعرف واجباته فيؤديها كاملة غير منقوصة ، كما يعرف حقوقه فيسعى إلى اكتسابها ، ولا يرضى بالذل والهوان ، ولا يخاف إلا الله عزوجل ، وهكذا يكون المجتمع المسلم حراً أياً لا يقبل الاستبداد والظلم ، سواءً وقع عليه أو على غيره من البشر .

والبيت المسلم ركيزة التربية الإسلامية الأولى ، وهو المسئول الأول عن تكوين المواطن الصالح ، فالأب في البيت يمثل الدولة في المجتمع ، والأسرة مجتمع مصغر ، والأب العادل يربي أولاده على فضيلة العدل ، فتنغرس فيهم منذ الصغر ، حتى إذا كبروا وقد شبوا على العدل ؛ كان الظلم مبعوضاً عندهم ، فلا يظلمون غيرهم ، ولا يقبلون الظلم عليهم .

والتأمل في البيت المعاصر يجد صورة مصغرة للمجتمع المعاصر ، فالقهر والاستبداد والظلم ، وقوامة المرأة على الرجل ، والصراع بين الأجيال ... حتى يمكننا القول بأن البيت هو المسئول الأول عن التخلف الحضاري في مجتمعاتنا المعاصرة ، ففي بعض بيوتنا تجد الأم حاكماً متسلطاً على الأسرة ، تسوسها حسب رغباتها ، والزوج لا حول له ولا قوة ، وفي بعضها تجد الأب منحاز علناً إلى زوجته الجديدة وأولادها ، وتراه يضطهد زوجته القديمة وأولادها ، فيسوس أولاده وبناته بالقهر والاستبداد والهوى .

والبيت الذي يربي أولاده على هذا المنوال يقدم أفراداً مناسبين لمجتمع مقهور ، ينقادون بسهولة ويسر للمستبد ، مما يجعل البغاث نسراً ، وتسود الرذيلة وتختفي الفضيلة ، ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً والعياذ بالله . كما هو الحال في بعض المجتمعات المعاصرة .

أما البيت المسلم الذي يسير على هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنه يقدم رجالاً أحراراً ، ليكونوا لبنات صالحة في المجتمع المسلم المرتقب .

الأحاديث الشريفة

- ١- أخرج البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سألت أُمِّي أبي بعض الموهبة لي من ماله ، ثم بدا له فوهبها لي فقالت : لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ . فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى النبي ﷺ فقال : إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا . قال : ((ألك ولد سواه ؟)) قال : نعم . قال فأراه ، قال : ((لا تشهني على جور))^(١) .
- ٢- وفي رواية أخرى عند البخاري : ((أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟)) قال : لا . قال : ((فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم)) . قال : فرجع فرد عطيته .
- ٣- وأخرج مسلم يرحمه الله عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أنه قال : أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلته ابني هذا غلام كان لي فقال رسول الله : ((أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟)) فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : ((فأرجعه)) . وفي رواية فارده ، وفي رواية أخرى : ((أفعلت هذا بولدك كلهم ؟)) قال : لا . قال : ((اتقوا الله وأعدلوا في أولادكم)) . فرجع أبي فرد تلك الصدقة . وفي رواية ثالثة قال ﷺ : ((فلا تشهني إذا فإني لا أشهد على جور))^(٢) .

وقد صنف ابن أبي الدنيا يرحمه الله

باب في كتاب العيال سماه (باب العدل بين الأولاد والتسوية بينهم) ، جاء فيه .

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٥٠) في كتاب الشهادات (٥٢) ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٩) وفي فتح الباري (٣٠٦/٥) .
(٢) رقم الحديث في صحيح مسلم (١٦٢٣) في الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة . وفي شرح النووي (١١-٦٥) ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة .

١- أخبرنا أبو الأشهب ، عن الحسن قال : بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم ، فمسح رأسه وأقعدته على فخذة اليمنى . قال فلبث قليلاً ، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه ، فمسح رأسها ، وأقعدتها في الأرض ، فقال رسول الله ﷺ : ((فهلا على فخذك الأخرى)) فحملها على فخذة الأخرى . فقال ﷺ : ((الآن عدلت)) (١) .

والعدل بين الزوجات مقدمة للعدل بين الأولاد

وقليل من المسلمين في يومنا هذا يعدل بين زوجاته ، لأن كبح الهوى وعدم إظهار ميل القلب ليس في مقدور كثير من أهل زماننا . فينعكس ذلك على الأولاد ، عندما يرون أباهم يفضل إخوانهم أبناء زوجته الجديدة عليهم ؛ لأنهم أبناء الزوجة القديمة ، مما يزرع الشقاق بين الأخوة ، ويضعف الرابطة الأخوية بينهم .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط)) (٢) .

شرح الأحاديث

١- يقول الحافظ ابن حجر يرحمه الله واختلاف الألفاظ في هذه القصة الواحدة يرجع إلى معنى واحد ، وقد تمسك به من أوجب التسوية في عطية الأولاد وبه صرح البخاري ، وهو قول طاووس والثوري وأحمد وإسحق ، وقال به بعض المالكية . ثم المشهور عن هؤلاء أنها باطلة (أي العطية لبعض الأولاد دون الآخر) . ومن حجة من أوجبه (أوجب التسوية) أنه مقدمة

(١) قال عنه المحقق حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح . وله شاهد جيد أخرجه البزار في مسنده .

(٢) العيال (٥١٣) وقال إسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي في التحفة (٤ - ٢٩٥) كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، والنسائي في سننه (٧ - ٦٠) كتاب عشرة النساء ، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمان : ١٣٠٧) .

الواجب لأن قطع الرحم والعقوق محرمان ، فما يؤدي إليهما يكون محرماً ، والتفضيل مما يؤدي إليهما [فتح الباري ، ٥ - ٢٥٣] .

٢- ويقول العيني : قال طاووس وعطاء ومجاهد وعروة وابن جريج والنخعي والشعبي وابن شبرمة وإسحق وسائر الظاهرية : أن الرجل إذا نحل بعض بنيه دون بعض فهو باطل . وأصح ما قيل عن أحمد وإذا فضل بعض ولده في العطية أمر برده .

٣- ويقول النووي : ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ، ولا يفضل ، ويسوي بين الذكر والأنثى لظاهر الحديث . فلو فضل بعضهم بالهبة جاز مع الكراهة عند مالك والشافعي وأبو حنيفة . وقال طاووس وعروة ومجاهد والثوري وأحمد وإسحاق وداود هو حرام ، واحتجوا برواية لا أشهد على جور . واحتج الآخرون بقوله ﷺ : ((فأشهد على هذا غيري)) . [شرح النووي ٦٥/١١] .

والجدير ذكره أن الرجل (الأب) حاكم في البيت ، وهو مسؤول عن رعيته (زوجته وأولاده الذكور والإناث ، وغيرهم من الأقارب أو الخدم) ، وهو الذي يسوسهم ، ويرببهم التربية السياسية الصحيحة ، وسياسته لهم ستتغرس في نفوسهم ، وينطبعون بها ، وينشأون عليها .

ويقول صاحب التحفة : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، يستحبون التسوية بين الولد ، حتى قال بعضهم : يسوي بين ولده حتى في القبلة ، وقال بعضهم يسوي بين ولده في النحل والعطية الذكر والأنثى سواء .

ويقول ابن القيم : وهذه كلها ألفاظ صحيحة صريحة في التحريم والبطلان من عشرة أوجه ، تؤخذ من الحديث ومنها قوله : أشهد على ذلك غيري ، فإن هذا ليس بإذن قطعاً ، فإن رسول الله ﷺ لا يأذن في الجور ، وفيما لا يصح ، وفي الباطل . فإنه قال : (إني لا أشهد إلا على حق) فدل ذلك على أن الذي فعله أبو النعمان لم يكن حقاً . فهو باطل قطعاً . فقوله إذن أشهد على ذلك غيري حجة على التحريم كقوله تعالى : { اعملوا ما شئتم } وقوله ﷺ : ((إذالم تستح

فاصنع ما شئت)) ، أي الشهادة على هذا ليست من شأني ، ولا تنبغي لي ، وإنما هي من شأن من يشهد على الجور والباطل وما لا يصلح ، وهذا في غاية الوضوح ، وقد كتبت في هذه المسألة مصنفاً مفرداً استوفيت فيه أدلتها ، وبينت من خالف هذا الحديث ونقضها عليهم ^(١) .

وسائل البيت المسلم لغرس العدالة في الناشئة

الأسرة نواة المجتمع :

نقصد من ذلك أن الأسرة مجتمع صغير ، الأب يمثل الدولة ، والأولاد هم الرعية ويتدرب الأولاد على الحياة الاجتماعية في الأسرة ، ومما يتدرب عليه الأولاد في الأسرة السلوك السياسي في المجتمع ، ونقصد به تعامل الفرد مع المجتمع ، بشكل عام ، والدولة - وهي تمثل المجتمع - بشكل خاص . ومن الأمور التربوية الهامة أن يزرع البيت في أطفاله حب العدل وكره الظلم ، وموقف الأب مع أولاده يزرع عندهم العدل أو الظلم ، وشتان بين إنسانين نشأ أحدهما على العدل ، ونشأ الآخر على الظلم .

فإن لم تعدلوا فواحدة :

ومع أن تعدد الزوجات من الأمور الأساسية في المجتمع المسلم ، حيث تسد منافذ الرذيلة ، وتمتص نسبة الزيادة المئوية في عدد النساء ، مع ذلك فقد قيده عزوجل بالعدل ، ووجه الرجل الذي لا يتمكن من العدل بين الزوجات ؛ أن يكتفي بزوجة واحدة فقط ، كي لا يقع الظلم ، وهو نقيض العدل ، وظلم الزوجة يتعدها إلى أولادها ، فينشأون على الظلم .

ويعلم سبحانه وتعالى أن الرجل لا يستطيع أن يحب زوجته بنفس الدرجة من الحب ، لذا قال سبحانه وتعالى : { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً } [النساء :

(١) مختصر سنن أبي داود ، تحقيق محمد حامد الفقي (١٩٢/٥) .

[١٢٩] . جاء في صفوة التفاسير : (لن تستطيعوا أن تحققوا العدل التام لأن التسوية في المحبة وميل القلب ليست في مقدور الإنسان ، فلا تميلوا عن المرغوب عنها ميلاً كاملاً ...) .

والميل - كما أرى - شعور نفسي ، يستطيع الرجل العادل أن يخفيه في نفسه ، فلا يظهر للمرغوب فيها أو المرغوب عنها ذلك الميل ، ومجرد إظهار ذلك الميل فقد ظلم إحداهما . وليس هذا الكبح بالأمر السهل ، لذلك قليل من الرجال يستطيعون كبح ميولهم ، وهذه النسبة تساوي نسبة الزيادة في عدد النساء عن عدد الرجال في المجتمع السوي . أما إذا مال (كل الميل) فقد خرج الميل من دائرة الشعور الداخلي إلى حيز الفعل والسلوك وصار أمراً ظاهراً . ومما يؤسف له أن معظم من لهم أكثر من زوجة في مجتمعاتنا المعاصرة ؛ يظلمون زوجاتهم ، وأولادهم بشكل صريح ، فأبناء الجديدة لهم ميزات لا توجد لأبناء القديمة ، جهاراً نهاراً ، مما يزرع الحقد بين الآباء والأبناء بدلاً من الود والاحترام والعطف . فقد كان رسول الله ﷺ يسوي بين عائشة رضي الله عنها وهي في ريعان الشباب ، وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن مع تقدمهن في السن وإنجابهن الأولاد .

الأب في البيت يمثل الدولة في المجتمع :

الأسرة مجتمع صغير ، يتربى الأولاد فيها على العدل ، فتتمو عندهم الكرامة الإنسانية ، ويحرصون على صونها وحفظها من الذل ، حتى إذا كبر هؤلاء الأولاد ؛ كانوا رجالاً شجعاناً ، لا يخافون في الله لومة لائم ، فقد تربوا على أن يعدل بينهم ، ولم يعتادوا على الظلم والذل ، ومثلهم لا يمكن أن يحكمه الطاغوت المستبد .

أما الأولاد الذين تربوا في أسرة تفضل بعض الأولاد على بعضهم الآخر ؛ ينغرس فيهم الذل والخنوع للسلطة التي تفعل ما تريد حسب نزواتها وهواها . كما ينشأ هؤلاء الأخوة على الحقد فيما

بينهم والضعينة ، كما فعل أخوة يوسف عليه السلام ، عندما ظهر لهم أن أباهم يعقوب عليه السلام ؛ يحب يوسف وأخاه أكثر منهم . وعندما يعتاد الإنسان على العدل فإن كرامته تنمو فيشعر بها ويدافع عنها ، فهذا عدل الفاروق رضي الله عنه وصل أثره إلى رعايا الدولة الإسلامية في مصر من غير المسلمين ، فلم يرض القبطي أن يضرب ابن الوالي ابنه ، ولم يسكت وإنما تجشم الصعاب ورحل إلى عمر رضي الله عنه فاشتكى له ، فأحضر الخليفة عمر وولده واقتص منهما وقال قولته المشهورة : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار) . وذلك صحابي يقاطع عمر وهو يخطب على المنبر ، ويقول له : لا سمع ولا طاعة ، وثالث رضي الله عنهم يقاطع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهو يخطب على المنبر ويكرر أن المال مال الله ، فيقول الصحابي إنما هو مال المسلمين ، وليس مال أمك وأبيك ... هكذا كان المواطن المسلم ، بعد أن تربي على محبة العدل وكره الظلم والذل والخنوع .

الأخوة بدلاً من التباغض :

وعندما يعدل الأب بين أولاده ، الكبار والصغار ، الذكور والإناث ، أبناء القديمة وأبناء الجديدة ، فإنه يزرع لديهم عاطفة الأخوة ، فيحبون بعضهم ، ويعطف الكبير على الصغير ، ويحترم الصغير الكبير ، وتدوم أخوتهم بعد وفاة والدهم ، وقد أصبحوا آباء وأمهات ، فيكونون قدوة حسنة لأولادهم في الأخوة والتكافل ، حتى يكونوا كالبنين المرصوص . أما إذا فضل الوالدان بعض أولادهم فبنشأ الحسد والغيرة ، ثم يتحول ذلك إلى الحقد والبغض ، فيزول العطف والاحترام والأخوة بينهم ، وهكذا يكون المجتمع المفكك الذي يسيطر أعداؤه عليه ، وربما تجد بعض هؤلاء الحاقدين من يسرع إلى مناصرة العدو على أقاربه وأبناء وطنه نكاية بهم ، وحقد وحسد .

فكم تجد في مجتمعاتنا المعاصرة أخصاً مقاطع أخاه ، وقد يكون أحدهم غنياً والآخر فقيراً ، بل قد يكون الأول من رجال الأعمال

؛ والآخ من العمال ، ولا يلتفت الأخ الغني إلى أخيه الفقير ، بعد أن زرع والدهما الحقد بينهما منذ الصغر .

العدل والمساواة بين الأطفال :

وهذا من حقوق الأطفال على الوالدين ، وللعدل والمساواة أثر كبير على الأطفال ، فعندما يشعر أحد الأطفال أن أحد والديه أو كليهما يدلله أكثر من إخوانه ؛ يميل عندئذ إلى الشراسة والتعالي على إخوانه ، فيقابله إخوانه بالحسد ، ومن ثم البغض والكيد ، فهؤلاء إخوة يوسف عليه السلام ، لما علموا ميل قلب أبيهم إلى يوسف أكثر منهم رموا أباهم بالخطأ فقالوا : { إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين } [يوسف : ٨] . فكانت نتيجة قناعتهم هذه أن يقدموا على عمل مشين في حق الأخوة وحق الأبوة : { اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين } قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين { [يوسف ٩ ، ١٠] . وهكذا حبكوا هذه المؤامرة على أخيهم الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا ذنب له إلا إظهار والده حبه له أكثر من إخوته ، فكان هذا الحسد وذاك الكيد . لذلك مهما قدم الوالدان من نصائح وتوجيهات ، وترغيب وترهيب فلن تكون لها أي جدوى ما لم يلتزما بالعدل والمساواة بين الأطفال مادياً ومعنوياً ، ولا يظهر ميلهم القلبي أمام أطفالهم [محمد نور سويد ، ص ٣١٦] .

الاستجابة لحقوق الأطفال

إن إعطاء الطفل حقه ، وقبول الحق منه ؛ يغرس في نفسه شعوراً بالعدل ، ويتعلم أن الحياة الاجتماعية (السياسية) أخذ وعطاء ، كما أنه تدريب للطفل على الخضوع للحق ، فيرى أمامه قدوة صالحة ، ويتعود على العدل وقبول الحق .

فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلام على يمينه لكي ينتازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي على يساره ، فإذا بالطفل لا يؤثر سؤر

رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبداً ، فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب ويهناً في الاستمتاع بحقه .

- عن سهل بن سعد ؓ : (أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : ((أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟)) فقال الغلام : لا والله يا رسول الله ، لا أؤثر بنصيبك منك أحد ، فتله (أي وضعه) رسول الله ﷺ في يده) وزاد رزين (والغلام هو الفضل بن العباس) (١) .

وتعويد الطفل على المطالبة بحقه خطوة لازمة بعد تعويده على القيام بواجباته ، ليكون مواطناً حراً في المجتمع ، يعطي ما عليه ، يأخذ ما له ، وفي مثل هذا المجتمع الذي يعرف المواطن ما عليه وما له ، يتعذر قيام الطغاة ، وتستحيل (الفرعنة) ، أما المجتمع الذي يكثر فيه من لا يعرفون ما عليهم وما لهم ، ينتظرون الطاغية ليرمي لهم بعض بقايا فتات موائده ، وينفذون كل ما يطلب منهم ، مثل هذا المجتمع بيئة مناسبة وصالحة للفرعنة .

- فهذا صبي من الصحابة هو سمرة بن جندب ؓ يرده رسول الله ﷺ عن معركة أحد فيقول الصبي لرسول الله ﷺ : لقد قبلت ابن عمي (رافع بن خديج) في دخول المعركة ، وأنا إن صار عته صر عته ، فيأذن رسول الله ﷺ لهما بالمصارعة أمامه ، ثم أذن له ، فهذا رسول الله ﷺ قبل الحق من الصغير ، وعلمنا أن نقبل الحق من الصغير ، وقد روى ابن عساكر والديلمي عن ابن مسعود ؓ قال : قلت للنبي ﷺ علمني كلمات جوامع نوافع فقال : ((اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وزل مع القرآن أينما زال ، واقبل الحق ممن جاء به ، صغيراً أو كبيراً ، وإن كان بغيضاً بعيداً ، واردد الباطل ممن جاء به صغيراً أو كبيراً وإن كان حبيباً قريباً .

- ومن حق الطفل أن يسمع له إن كان عالماً فقد روى أبو سعيد الخدري ؓ قال : (كنت جالساً بالمدينة في مجلس الأنصار ، فأتانا أبو موسى فزعاً أو مذعوراً ، قلنا ما شأنك قال : إن عمر أرسل إلي

(١) انظر جامع الأصول (٥-٨٤) تحقيق الأرنؤوط ، وقال النووي في رياض الصالحين : باب التنافس في أمور الآخرة ، والغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما .

أن أتيت بابه فسلمت ثلاث فلم يرد علي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتينا فقلت : إني أتيتك فسلمت علي بابك ثلاث فلم يردوا علي فرجعت ، وقد قال رسول الله ﷺ إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ، فقال عمر : أقم عليه البيعة وإلا أوجعتك ، فقال أبي بن كعب : لا يقوم معه إلا أصغر القوم ، قال أبو سعيد قلت : أنا أصغر القوم ، قال : فاذهب به ^(١) . وفي رواية يقول أبو سعيد الخدري : (فقلت حتى أتيت عمر فقلت : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا) ، يقول النووي (١٤ - ٣٨٠) : (قوله لا يقوم معه إلا أصغر القوم : معناه أن هذا حديث مشهور بيننا معروف لكبارنا وصغارنا ، حتى أن أصغرنا يحفظه وسمعه من رسول الله ﷺ . والشاهد هنا إرسال أبي ابن كعب لأبي سعيد الخدري وهو أصغر القوم إلى خليفة المسلمين ؛ ليشهد أمامه على كلام سمعه من رسول الله ﷺ ، وهذا ليس انقاص من حق الخليفة وإنما اعتبار مكانة الصبي - أي صبي - وقبول الحق منه ؛ إن كان عالماً به ، والشاهد كذلك قبول عمر ﷺ الحق من الصبي الصغير ، فالحق أحق أن يتبع ولو جاء به صغير .

وقد سار السلف الصالح على قبول الحق من الصغير ، فهذا أبوحنيفة يرى طفلاً يلعب بالطين فيقول له : إياك من السقوط في الطين ، فيقول الطفل إياك أنت من السقوط لأن سقوط العالم (بالكسر) سقوط العالم (بالفتح) ، فكان أبوحنيفة - بعد ذلك - لا يخرج فتوى إلا بعد مدارستها شهراً مع تلامذته ^(٢) .

بالعدل يدوم الملك

وإذا كانت الشورى والطاعة والتعاون ، من خصائص علم العمران البشري الإسلامي ، التي تحتاجها الأجيال المسلمة اليوم ، في طريقها إلى إقامة المجتمع المسلم ، فإن العدالة من الخصائص التي تحفظ المجتمع المسلم ، وتطيل عمره ، حيث يعدل الأمراء

(١) مسلم ، كتاب الآداب ، باب الاستئذان ، رقم (٢١٥٣) .

(٢) محمد نور سويد ، ص (٣٢١) .

المسلمون بين رعيتهم ، فالعدالة ضرورية للمحافظة على المجتمع المسلم ، وعندما تطبق العدالة ؛ سيدخل الناس في دين الله أفواجا ، ولن يبقى عندها بيت وبر أو مدر إلا يدخله الإسلام .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (... ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ^(١) . وقال سبحانه وتعالى : { إن الله يأمركم أن تحكموا بالعدل ... } [النساء - ٥٨] . وقد أجمع المفسرون على أن المراد من الحكم ^(٢) . في هذه الآية هو ما كان عن ولاية عامة أو خاصة ^(٣) .

ويقول القرطبي رحمه الله : هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع ، وقال بعض الصحابة المخاطب بها ولاية المسلمين خاصة ، والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاية فيما وكل إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلمات والعدل في الحكومات ، وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات ، والعبادات أمانة الله تعالى ^(٤) .

العدل صفة للفرد المسلم

والعدل كالشورى صفة من صفات الفرد المسلم ، فالمسلم يعدل مع نفسه فلا يظلمها ، ويعدل مع أسرته فلا يظلم أحداً من أفرادها ، ويعدل مع زملائه في العمل ، وأبناء حيه ، حتى تصبح العدالة صفة ملازمة للمسلم ، والعدل نقيض الظلم ، وقد نهى الله ورسوله عنه .

(١) ابن تيمية ، الحسية ، ص ٩١ .

(٢) الأب في البيت حاكم ، والمدرس حاكم ، والمدير حاكم ، وهكذا حتى نصل إلى الخليفة . فالخطاب لكل من ولاة الله الحكم بغيره .

(٣) محمد سليم العوا ، ص ١١٨ .

(٤) تفسير القرطبي ، ٥٨ سورة النساء .

قال تعالى : { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون } [النحل - ٩٠] ويقول الشيخ سعيد حوى - رحمه الله - إن الله يأمر بالعدل في كل شيء ، في أداء الحقوق ، والقيام بالواجبات ، فيحدد الحقوق ، ويحدد الواجبات ، في السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، فلا عدل إلا ما أمر به ، ولا يتحقق العدل في الحياة البشرية إلا بإقامة كتابه وسنة رسوله ﷺ (١) .

والعدل ضده الظلم ، وإذا كان العدل صفة لكل مسلم ؛ فإن الظلم من صفات الطواغيت ، الذين ابتعدوا عن منهج الله عزوجل ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الظلم في كتابه الحكيم من خلال المشتقات التالية (ظالم ، ظالمة ، ظالمون ، ظالمين ، ظالمي ، أظلم ، ظلوم ، ظلام) في ما يقارب (١٥٦) آية ، وهذا يشير إلى الخطر العظيم العائد على البشر من هذه الصفة التي يتصف بها بعض الناس ، كما مدح سبحانه وتعالى العدل وهو نقيض الظلم من خلال المشتقات التالية (أعدل ، تعدلوا ، يعدلون ، اعدلوا ، عدل) في ما يقارب (٢٧) آية في كتاب الله العزيز الحكيم ، وجعله من صفات المؤمنين .

العدل مع غير المسلمين

وكما فرض الله العدل في القرآن بين المؤمنين ، فرضه كذلك بينهم وبين أعدائهم ، فقال تعالى : { ... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ... } [المائدة - ٨] ، وقد يحمل الحب كما يحمل الكره بعض القلوب على الحيف والجور تحقيق لما يظنونه مصلحة لمن يحبون ، ولذلك يحذر القرآن من مثل هذا الحيف فيخاطب المؤمنين : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين ... } [النساء ١٣٥] . وقد شهد ما عز ﷺ على نفسه ، وقال الحق عنها ويعلم أن مصيره الرجم ، كما شهدت الغامدية رضي الله عنها

(١) سعيد حوى ، الأساس في التفسير (٦ / ٣٠١٣) .

على نفسها ، وألحت بشهادتها وهي تعرف أن الرجم مصيرها ، وهكذا تعلموا رضي الله عنهم أن يعدلوا وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم .

وهذا الخليفة عمر بن الخطاب يرى قاتل أخيه زيد بن الخطاب ، فقال عمر رضي الله عنه : اغرب عن وجهي والله لا أحبك (والحب خارج عن إرادة الإنسان) ، فقال ذلك الرجل : وهل تمنعني شيئاً من حقوقي ؟ فقال عمر : لا ، لا أستطيع أن أمنعك شيئاً من حقوقك . فقال الرجل : إنما تبكي على الحب النساء .

وهذا عبدالله بن رواحة الذي وكل بخرص ثمار خيبر (حينما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلاحها من اليهود على شطر الخارج منها) ، فقال له اليهود : مانراك عدلت فيجيب عليهم : يا أخوة القردة والخنازير والله ما أحد على ظهر الأرض أبغض إلي منكم ، وما يدفعني بغضي لكم أن أنقصكم ثمرة واحدة ، والله ما أحد على ظهر الأرض أحب إلي من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يدفعني حبي له أن أزيد ثمرة واحدة ، إن شئتم هذه أو شئتم هذه (ويشير صلى الله عليه وسلم إلى الحصتين أمامه) ، فنقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

ويقول أبو عبد الله الأزرق : العدل أساس الملك ، ثم ساق الأحاديث الشريفة التي يأمرنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدل ومنها ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلس ، إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلس إمام جائر)) (١) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل ...)) [الحديث] (٢) . وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بدأ به ، لعل مرتبته ، وفي الصحيح عن عبد الله بن

(١) الترمذي (١٣٢٩) في الأحكام ، وأحمد (٢٢/٣) ، وجامع الأصول (٥٥/٤) ، قال الترمذي : حديث حسن غريب وحسنه لشاهد عن ابن أبي أوفى .

(٢) البخاري (١١٩/٢-١٢٤) في الجماعة ، مسلم (١٠٣١) في الزكاة ، الترمذي (٢٣٩٢) في الزهد ، النسائي (٢٢٢/٨-٢٢٣) في القضاة ، جامع الأصول (٥٦٤/٩) .

عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم ، وأهليهم وما ولوا)) (١) .

تكافؤ الفرص في البيت المسلم

وتقام العدالة في البيت المسلم بتحقيق تكافؤ الفرص بين جميع الأولاد والبنات ، وتشمل مايلي :

حق الحياة لكل فرد في الأسرة

وتأمين الحد الأدنى من ضرورات العيش ، من غذاء ودواء وسكن لكل فرد ، وفي المجتمع المسلم عندما تطبق الزكاة على أصولها الشرعية يتحقق ذلك ، وإن نقص فعلى المجتمع المسلم توفيره من بيت مال المسلمين ، فإن لم يكن به مال ، فمن أموال الأغنياء ، يأخذ منهم الأمير ما يسد به رمق الفقراء ، واتضح هذا من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة ، كيف كان يرى أن المجتمع مكلف بتأمين ضرورات العيش لجميع المواطنين فيه ، مسلمين وغير مسلمين .

حق التعليم

وعلى البيت المسلم توفير التعليم المناسب لكل فرد فيه ، ذكوراً وإناثاً ، وذلك بتأمين التحاقهم بالمدارس والجامعات في جميع المراحل ، ومساعدتهم في تأمين المواصلات والمساكن والنفقات خلال مرحلة الدراسة ، والإنفاق عليهم ذكوراً وإناثاً إلى مرحلة محددة لهم جميع (كالتخرج من الجامعة مثلاً ، أو التخرج من الدراسات العليا إذا كانت حالة الأسرة تسمح بذلك) ، ولا يصح محاباة أحدهم بالدراسات العليا مثلاً ؛ وحرمان الآخر من الدراسة الجامعية ، فالتعليم حق للفرد لا يقل عن حق الطعام والشراب .

(١) مسلم بشرح النووي ، (٢١٢ / ٢١١) ، باب فضيلة الأمير العادل ... ويلاحظ قوله ﷺ وأهليهم وما ولوا ، فالعدل صفة لكل مسلم ، ومطلوب من كل مسلم ، حاكم ومحكوم .

حق العمل

ويسهم البيت المسلم في تهيئة الفرد للعمل ، وذلك بعد إعداده من خلال مراحل التعليم ، فقد يحتاج آلات للعمل كالطبيب والصيدلي والمزارع ، أو رأسمال مناسب يبدأ به حياته العملية ، وهنا لابد للبيت المسلم أن يحقق المساواة بين أولاده ، فيقدم لهم مساعدات متساوية أو مناسبة لعمل كل منهم ، على شكل قروض أو هبات حسب حالة الأسرة ، مع الانتباه إلى عدم الجور على الصغار من أجل تأمين عمل الكبار ، أو العكس ، أو الدعم غير المحدود لأولاد الزوجة الجديدة ، وحرمان أبناء القديمة من المساعدة اللازمة ليبدأوا حياتهم العملية .

حق الزواج

ومن واجبات البيت المسلم مساعدة أولاده وبناته على الزواج ، وقد تقدم الأسرة تكاليف الزواج كهبات لجميع أولادها وبناتها ، أو على شكل قروض يرددها المتزوجون للأسرة لتعنيها على تربية الصغار ، ولا بد من التذكير بتحقيق العدالة بين الذكور والإناث ، فالزواج حق لكل منهما ، وعلى البيت المسلم أن يسعى في تزويج أولاده كما يسعى في تزويج بناته ، والأساس في ذلك التسوية بينهم ، وعدم محاباة أحدهم على الآخرين .

حق الحرية

الحرية المقيدة بكتاب الله وسنة رسوله ومن هذه الحرية : حرية الإقامة ، وحرية الرأي والكلام ، وحرية الملكية ، والحرية الشخصية ، وبراى الباحث لا حرية إلا في الإسلام ، لأن المسلم يتحرر من شهواته وهواه ، ومن الطواغيت ، والحرية هي الخضوع لله وحده ، وغير المسلم تتجاذبه آلهة كثيرة فتراه أسير لها ، وقد شاء الله عزوجل أن يجعل الإنسان حراً في اختيار ، ورتب على ذلك مسؤولية الإنسان عن أفعاله ، أما غير الإنسان فقيد تماماً قال تعالى : { .. ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس

وكثير حق عليه العذاب ... } [الحج : ١٨] ، فمخلوقات الله جميعاً تسجد له إلا بني الإنسان فإن منهم الساجدين ومنهم الكافرين ، وهذا اختيارهم الذي فطرهم الله عليه ^(١) .

وعندما يضمن الإسلام للإنسان حرية العقيدة (لا إكراه في الدين) فقد ضمن له سائر الحريات الأخرى ، لأن العقيدة أهمها . ويؤكد ذلك أن غير المسلمين كاليهود مثلاً عاشوا عصرهم الذهبي تحت ظل الدولة المسلمة . وقد يتوهم اليوم أن المجتمعات الغربية توفر الحرية لمواطنيها ؛ لأنها دول ديموقراطية ، ولكن الواقع أن هذه الحرية يملكها الأغنياء ، أما الفقراء فلا يقدر على ممارستها ، لأن ممارسة الحرية عندهم تتطلب أموالاً كثيرة ، حتى في أثناء الانتخابات يستطيع الأغنياء أن يسلبوا حرية الفقراء ؛ عندما يشترى أصواتهم بشكل ما .

المساواة بين المواطنين في المجتمع المسلم

يتساوى المواطنون في حقوقهم وواجباتهم ، ولا يميز بينهم بسبب الجنس أو النسب أو اللغة أو العقيدة ^(٢) . وفي ذلك يقول الله عزوجل : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير } [الحجرات : ١٣] . وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع : ((يا أيها الناس إن ربكم واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ألا لا فضل لأحمر على

(١) محمد سليم العوا ، ص ١٢٤ .

(٢) لا يفهم من ذلك المساواة الكمية الآلية ، فالمرأة مثلاً لا تتساوى مع الرجل في إسناد القضاء إليها ، وفي الولاية العامة ، والقتال في ميدان المعركة وغير ذلك ، وكذلك غير المسلم لا يتساوى مع المسلم مساواة كمية آلية ، فلا يسند له القضاء ، ولا الولاية العامة كأمر بلد مثلاً ، ولا يكلف في الجهاد ، كما لا يعمل في الجيش والقوات المسلحة ، بل يعفى من الخدمة العسكرية ، لأنها جهاد فرض على المسلم ، ولا يفرض على غير المسلم ، كما تؤخذ منه الجزية ولا تؤخذ من المسلم . والمقصود الحقيقي من المساواة بين المواطنين هو تأمين حقهم في الحياة ، وحريرتهم التي لا تتعارض مع الإسلام ، وعدم اضطهادهم لأنهم غير مسلمين ، أو اضطهاد المرأة ، أو اضطهاد أي مواطن بسبب حسبه ونسبه ، وعدم محاباة أحد وتفضيله بسبب دينه أو حسبه أو جنسه ، بل جميع المواطنين سواء في حق الحياة وأساسياتها في الحدود المشار إليها سابقاً ، والله أعلم .

أسود إلابالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب)) ويقول سيد قطب رحمه الله : (فأما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً ، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب ، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس ، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه (إنساناً) ، فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني . وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً : مؤمنون وكفار ، أصدقاء وأعداء ، سود وبيض ، عرب وعجم ، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط ، في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام - وإلا في حكم المسلمين .. وذلك هو أساس الحكم في الإسلام) (الظلال ٢/٦٨٩) . بل لقدكفلت الدولة المسلمة في أيام عزها وثرانها الحيوانات الضالة ، فأعدت مرج (بستان) خاص ترعى فيه هذه الحيوانات الضالة ، أو التي تخلى عنها أصحابها لأنها لم تعد قادرة على الخدمة . ومن باب أولى أن تهتم الدولة المسلمة بتأمين حق الحياة الكريمة لكل إنسان يعيش على أرضها ، وهذا هو حق الإنسانية الصحيح وليس ما تدعيه الحكومات الغربية المعاصرة ، التي تقصر وصف الإنسانية (من الناحية العملية) على الغربي فقط فتهتم لمواطن أوربي واحد ، ويتدخل رؤساء الدول من أجله ، بينما يشرد ويذبح آلاف المسلمين يومياً في جميع أرجاء العالم دون أن تشير وسائل إعلامهم إلى ذلك .

٥ - وروى البيهقي أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختلف مع أبي

بن كعب رضي الله عنه

في حائط ، فقال عمر بيني وبينك زيد بن ثابت ، فأتياه فحكم بينهما (١)

٦ - واستأذن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وأبو سروعة عقبة بن الحارث (وهو بدري) على عمرو بن العاص (والي مصر)

(١) سنن البيهقي ، (١٠ / ١٤٤) .

وقالا : أقم علينا حد الله، فقد أصبنا شراباً فسكرنا (يقول ابن الجوزي : شربا النبيذ ظناً منهما أنه لا يسكر) ، فنهروهما عمرو ، فقال عبد الرحمن إن لم تفعل أخبرت أبي ، يقول عمرو : (فعلت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب علي وعزلني ...) فأخرجهما إلى صحن الدار فضربهما الحد ، ودخل عبدالله بن عمر بن الخطاب بأخيه عبدالرحمن إلى بيت من الدار فحلق له رأسه ورأس أبي سروعة ، (وكانوا يحلقون لمن يقام عليه الحد) . ولما علم عمر بن الخطاب غضب لأن عمر لم يضرب عبد الرحمن أمام الناس ، ويقول له : (إنما عبدالرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، فإذا جاءك كتابي فابعث به في عباءة على قتب ، فلما قدم عبد الرحمن على أبيه لا يستطيع المشي من مركبه ، ويصيح أنا مريض وأنت قاتلي ، فضربه عمر وحبسه حتى مرض فمات رحمه الله ^(١) .

٧- كان لعثمان رضي الله عنه خادم (رقيق) ، فقال له : إني كنت عرقت أذنك فاقتصمني ، فأخذ الخادم بأذن عثمان ، ثم قال عثمان رضي الله عنه : اشدد يا حبذا قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة) ^(٢) .

٨- ولما ضرب محمد بن عمرو بن العاص قبطي من مصر بالسوط وهو يقول خذها وأنا ابن الأكرمين ، وعلم عمر بن الخطاب بذلك أحضرهم إليه ثم قال عمر : أين المصري ؟ دونك الدرة (العصا) فاضرب ابن الأكرمين ، فضرب المصري محمد بن عمرو بن العاص (والي مصر يومئذ) ، ضربه أمام والده عمرو حتى أثخنه وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين ، فلما فرغ المصري قال له عمر : (أجلها على صلعة عمرو) أي اضرب عمر ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه ، فقال المصري : قد ضربت من ضربني ، فالتفت عمر وقال : يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار ^(٣) .

(١) ابن الجوزي ، ص ٢٤١ ، بتصرف .

(٢) المحب الطبري ، الرياض النضرة (١١١/٢) .

(٣) محمد عارف مصطفى فهمي ، ص ١٦٧ (نقله عن ابن الجوزي) .

٩- وفي أيام الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام ، رأى درع له عند يهودي ، لكن اليهودي ادعى أنها له ، فتحاكما إلى القاضي شريح ، الذي أجلس علي بجانب خصمه (اليهودي) ؛ دون تمييز بينهما في مجلس المحكمة ، ثم طلب من علي أن يقدم البينة (لأن البينة على المدعي) ، فقال علي لا يعرفها أحد سوى ولدي الحسن والحسين (سبني رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ولكن القاضي المسلم لا يقبل شهادة الولد لأبيه ، فقال : وهل عندك غيرهما ؟ قال علي : لا ، قال القاضي : إذن لا توجد لديك بينة ، والدرع لليهودي ، فسكت أمير المؤمنين ، وهو متيقن أنها درعه ، لكن الشرع فوقه ، والبينة تطلب حتى من الخليفة ، وخرجا من عند القاضي ، بعد أن ربح اليهودي القضية ، وتحركت بقايا خير فطري عند اليهودي فقال : والله هذه أخلاق أنبياء ، وليست أخلاق بشر ، إنها درعك يا أمير المؤمنين ، سقطت عن جملك الأورق يوم صفين ، ثم قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، فقال علي : أما وقد أسلمت فهي لك .

١٠- وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي قبيل أن معاوية رضي الله عنه ، قال على المنبر : (إنما المال مالنا ، والفيء فيؤنا ، فلما كرر ذلك قام إليه رجل فقال كلا إنما المال مالناوالفيء فيؤنا ، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيفنا ، فنزل معاوية فأدخل الرجل إليه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال للناس إن هذا أحياني أحياء الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يرد عليهم ، يتقاحمون في النار ؛ كما تتقاحم القردة ، وقد تكلمت مرتين حتى قام هذا الرجل فرد علي ؛ فأحياني أحياء الله [الهيثمي ٢٣٦/٥] .

هذه بعض أمثلة للعدالة في السياسة الإسلامية ، وبهذا العدل حكم المسلمون معظم المعمورة يومئذ ، فكان الرشيد يخاطب السحابة قائلاً : (شرقي أو غربي وأمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك) . ويرسل له ملك فرنسا خطاب يقول في آخره : (خادمكم المطيع شارلمان) ، فلما زال العدل زالوا .

الفصل الخامس

التعاون

صار إقبال الشباب على الالتزام بالإسلام أمر عفوي ، ووجب على العلماء والدعاة والمربين تربية الشباب على الإسلام ، من أجل إقامة المجتمع المسلم ، وظهر في هذه المرحلة الحاجة الماسة إلى التعاون بين المسلمين ، ومما يؤسف له أن الصراع الحزبي ، والتنافس المذهبي ، ما يزال يشغل كثير من المسلمين عن التعاون فيما بينهم على البر والتقوى ، من أجل إقامة المجتمع المسلم ، الذي يعجز أي فرد عن إقامته وحده . لذا يرى الباحث أن التعاون (وليس الصراع) ميزة أساسية لعلم العمران البشري الإسلامي ؛ تميزه عن غيرها من السياسات الجاهلية ، وحيث أن كثير من المسلمين اليوم يجهلون هذا العلم ؛ لذلك أراد الباحث أن يبين خصائصه ليتعرف المسلمون عليه ، ويتميز عملهم السياسي (وهو فرع من الدعوة الإسلامية) عن العمل الحزبي الجاهلي . ومن هذه الخصائص التعاون ، فما التعاون ؟ .

التعاون في علم الاجتماع

شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل طفولة الإنسان طويلة المدى ، وطفل الإنسان يحتاج إلى عون من الآخرين مدة طويلة إذا ما قورنت بغيره من الكائنات الحية ، وعندما يرشد فإنه لا يستطيع العيش بدون الآخرين ، ولا بدله من المجتمع .
إذناً يبدأ الإنسان في حياته وهو يأخذ ولا يعطي ، وتطول فترة الأخذ بدون عطاء ، حتى إذا دخل سن الرشد ، ينبغي أن يعطي أكثر مما يأخذ ، ليكون مجمل ما يعطيه في رشه أكثر بكثير مما أخذه في طفولته ، وبذلك يقوم المجتمع الفاضل . وهذا الأخذ والعطاء نسميه التعاون ، فالإنسان مفطور على التعاون (مجبور عليه)، والفضيلة أن

يعطي الإنسان أكثر مما يأخذ ، والرذيلة أن يأخذ أكثر مما يعطي ، باستثناء حالات نادرة كالعاجز الذي يأخذ ولا يعطي .
ويعجز المسلم عن تنفيذ أوامر ربه وأوامر رسوله ﷺ وحده ، ولا بد من التعاون مع الآخرين لتقوم صلاة الجماعة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتربية الناشئة ، والجهاد في سبيل الله وإقامة الخلافة ... إلخ . والخطاب الإلهي في القرآن الكريم : { ياأيهاالذين آمنوا ... } خطاب للمجتمع وليس للفرد .

التعاون : أخذ وعطاء

هناك علاقات اجتماعية كثيرة ، منها التطفل وهو أخذ بدون عطاء ، ومن يأخذ في هذه الحالة يسمى طفيلي ، أو ظالم أو مستعمر ، ومثلها علاقة الاستعمار بالشعوب المستعمرة ، حيث يأخذ منها خيراتها وهي مواد خام ، ثم يأخذ أموالها عندما يبيعها المواد المصنعة ، فهو أخذ في الحالتين ، وقد يعطي شيئاً قليلاً تقنات به هذه الشعوب كي لا تموت جوعاً ، فيخسر جهودها وطاقتها التي تصب في جيوبه .

أما التعاون فإنه يقوم بين طرفين مستقلين يعطي كل منهما الآخر ، ويأخذ منه بحرية ووعي ، كالدولة التي تقدم فائضها من القمح لجارتها التي تحتاجه ، وتأخذ منها ما يقابله من النفط أو الفوسفات ... إلخ ، ولا يشترط تساوي ما يتعاون فيه ، وخاصة في الحدود الضيقة ، فلا يقاس بالمقاييس المادية . والمقصود من هذا أن الطرفين المتعاونين محتاجان لبعضهما ، ولا يستطيع أي منهما الاستغناء عن الآخر . وفي الحياة البشرية يتم التعاون بين أطراف عديدة وليس طرفين فقط ، وكلما توسعت دائرة التعاون كانت الحياة أكثر ازدهاراً ومدنية .

أما المجتمع المسلم (وهو المجتمع الفاضل) فإن من يعطون فيه أكثر ممن يأخذون ، والأمثلة من حياة الصحابة والسلف الصالح كثيرة ، وهم المثال الصحيح للمجتمع المسلم ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ مرتب من المجتمع المسلم (بيت المال) لا يزيد عن حاجاته

الضرورية التي هي عيشة الكفاف ، وعندما علم أن زوجته وفرت مبلغ لشراء ثوب آخر في العام كله ، أصدر أمره إلى خازن بيت المال فأنقص مرتبه بمقدار ما وفرت زوجته ، أما ما قدمه (أعطاه) عمر للمجتمع المسلم فلو وزن بالجبال ذهب لرجح عليها ، ومثله حفيده عمر بن عبد العزيز ، ومن قبله أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيرهم ممن قدموا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله رضي الله عنهم أجمعين .

التعاون تكامل :

شاء الله تبارك وتعالى أن يختلف الناس في قدراتهم لتقوم الحياة ، فلو كان الناس نسخة واحدة مكررة لما قامت الحياة ، بل إن الحياة تزدهر فتقوم الحضارة كلما كثر التنوع ، ويتضح ذلك عندما نقارن القرية بالمدينة ، فالتنوع في المدينة أكثر منه في القرية ، لذلك المدينة أكثر تحضر من القرية .

ولا تقوم الحياة بدون هذا التعاون ، فالتعاون إذنًا تكامل يعطي الطرف الأول ما يفيض عنده ويحتاجه الطرف الآخر ، ويقدم الطرف الثاني ما يفيض عنده للأول ، وهكذا تزدهر الحياة .

الرأي والرأي الآخر

ويقوم التعاون على قضية سابقة عليه ، لا بد من توفرها قبله ، وهي قبول الآخر ، والآخر هو شخص غيري يختلف عني في جسمه وعقله وتفكيره ورأيه ، وعندما أتعاون معه لا بد من الاعتراف بأن هذا الآخر يختلف عني ، ومن حقه أن يخالفني في رأبي ، وإن لم يكن الآخر مختلف عني ، وكان مشابه لي إلى درجة المطابقة ، كان الناس نسخ مكررة ، وهذا مستحيل ولا تقوم الحياة به .

وقبول الرأي الآخر دليل على النمو الاجتماعي السليم ، فالطفل يبدأ حياته أناني متمركز حول ذاته ، يظن أن العالم كله خلق من أجله ، وأن أمه وأباه لتلبية رغباته فقط ، لذلك تبدأ الغيرة عنده عندما يرى أمه تهتم بشقيقه الأصغر ، وكلما كبر هذا الطفل تقل

عنده الأناية ، ويحب شقيقه الصغير ، وينادي أمه كلما بكى هذا الصغير لتصلح شأنه ، وقبيل المدرسة يتعرف الطفل على الجيران والأقارب ، ويبدأ اللعب الجماعي عنده الذي يقلل من تركزه حول ذاته وتعرفه على مفهوم الآخر وقبوله ، حتى إذا صار راشداً عرف الآخرين وعرف أنهم يختلفون عنه ، وعرف أن الحياة الاجتماعية لا تقوم بدون التعاون مع الآخرين ؛ مع اختلافهم عنه .

وهكذا يتضح أن قبول الآخر يوازي مرحلة الرشد عند الإنسان السوي ، أما رفض الآخر والتمركز حول الذات فيوازي مرحلة الطفولة ، والمجتمع الراشد يكثر فيه التعاون بين أشخاص أو مؤسسات أو جماعات مختلفة ، وهذا الاختلاف يؤدي إلى التكامل وإثراء المجتمع بطاقات متنوعة ، كما هو الحال في المجتمع الأمريكي ، ويرى الباحث أن أهم أسباب القوة في المجتمع الأمريكي هذا التعاون المتنوع في الثقافات وأساليب التفكير التي جاءت من سائر أقطار الأرض لتكون المجتمع الأمريكي .

ويقوم التعاون على الاستناد إلى قاسم مشترك بين المتعاونين ، وكلما كثرت هذه القواسم المشتركة بين المتعاونين ، كان التعاون أقرب إلى التلاحم والتوحد المصيري المشترك ، كما هي الحال في المجتمع المسلم ، فالقاسم الأكبر والأهم هو العقيدة ، ثم الكتاب والسنة ، واللغة العربية ، والتاريخ الإسلامي المشترك ، والهدف المشترك ، أما أن توجد خلافات في الفروع ، فهذا يرى الوصول بالطائرة أسرع وأسلم ، وثان يرى الوصول بالقطار أسلم وأفضل ، وثالث يرى الوصول بالسيارة يوفر كثير من التكاليف ... إلخ ، فقد اختلف هؤلاء في الوسيلة التي يصلون بها إلى الهدف الذي اتفقوا عليه جميعاً . لذلك فالتعاون بينهم واجب شرعي .

وقد تعاون رسول الله ﷺ مع اليهود على قاسم مشترك وحيد وهو الدفاع عن المدينة ، فالمسلمون واليهود يسكنون المدينة المنورة يومذاك ، والدفاع عنها هدف مشترك لكل منهم ، لذلك تحالف الرسول ﷺ معهم على ذلك ، وهم يهود وما أدراك ما يهود .

أدب الاختلاف

يقول الدكتور طه جابر العلوني : (الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريق مغاير للآخر في حاله أو في قوله ، وليس كل مختلفين ضددين ، وعلى هذا فالخلاف والاختلاف يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف .
وقضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة ، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار ، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام ، وتختلف باختلاف قائلها ، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى ، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تنمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك ، ودليل من أدلة قدرته البالغة ، وإن إعمار الكون وازدهار الوجود ، وقيام الحياة لا يتحقق أي منها لو أن البشر خلقوا سواسية في كل شيء ، وكل ميسر لما خلق له : { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم } [هود : ١١٨ - ١١٩] .

إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة - ولا يزال واقعاً - جزء من هذه الظاهرة الطبيعية ، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده ، بل التزمت آدابه ؛ كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد (١) .

كيف نربي أولادنا على التعاون ؟

القدوة الحسنة من الوالدين

يمثل الوالدان عند الطفل النموذج للإنسان الكامل ، لذلك يتشرب سلوكهما بدون وعي منه ، والوالدان المسلمان متعاونان ، وهذه بعض الأمثلة التي يمكن أن يراها الأطفال فتغرس عندهم فضيلة التعاون .

١- يساعد الأب الأم في عمل البيت :

(١) طه جابر العلوني ، ص ٢٣-٢٦ بتصرف .

من سنة رسول الله ﷺ أن يساعد الرجل زوجته في عمل البيت) فقد أخبر بعض نساءه ﷺ أنه يكون في بيته في مهنة أهله : ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق (١) .

٢- تساعد الأم الأب في عمله اذا أحضره إلى البيت :
إذا أحضر الأب بعض عمله إلى البيت ، مثل التحضير اليومي للمدرس ، وإعداد الوسائل التعليمية ، أو كتابة التقارير الشهرية عن طلابه ... إلخ ، فيستحسن أن تساعد الأم ولو بشكل رمزي ليرى الأطفال الوالدين متعاونين ، يعاون الأب الأم ، كما تعاون الأم الأب ، فيتشربون سلوك التعاون منهما .

التعاون مع الجيران

للجار حقوق على جاره في المجتمع المسلم ، حتى أن رسول الله ﷺ يقول : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال متفق على صحته] ، والإنسان مدني بالطبع ، ولا تقوم الحياة الاجتماعية بدون التعاون لذلك يربي البيت المسلم أولاده على محبة الجيران ، واحترام الكبار فيهم ، والعطف على الصغار منهم ، وبما أن اللعب حاجة أساسية للطفل ، ويشبع لديه عدة جوانب في شخصيته منها النمو الاجتماعي ، ومنها التدريب على التعاون ، والتنازل عن بعض الأنانية عند الطفل الصغير ، ليتمكن من اللعب مع الآخرين ، وبكلمة موجزة اللعب تدريب مبكر على الحياة الاجتماعية ، لذلك يحضر البيت المسلم أولاد الجيران ليلعبوا مع أولادهم ، ويعطف عليهم ، ويقدم لهم الهدايا ليشجعهم على اللعب مع أولاده .
وعلى الأب أن يقدم بعض وقته لاستقبال أقران ولده ، أو إيصاله إليهم ، وربما ينقلهم جميعاً بسيارته إلى أماكن اللعب وينتظرهم فيه

(١) أبو بكر جابر الجزائري ، ص ٥٤٦ .

، أو يشرف عليهم ، ثم يعيدهم ، كل ذلك لينمي عندهم قيمة التعاون عن طريق اللعب الجماعي .
وربما يساعد الأب جاره ، كما تساعد الأم جارتها ، وخاصة في المناسبات ، كالأفراح أو الأتراح ، ويتفقد الجار جاره مرة في الأسبوع على الأقل ، وعندما يرى الصغار ذلك تنشأ لديه فضيلة التعاون مع الجيران .

التعاون من خلال المستويات الدراسية في البيت المسلم

في البيت مستويات متدرجة في التحصيل المدرسي ، فيه تلميذ الابتدائية ، وطالب المتوسطة والثانوية ، وأحياناً طالب أو طالبة الجامعة ، والأب الحصيف يكلف أولاده وبناته فيعاون المستوى الأعلى المستوى الأدنى ، وهي طريقة من طرق التدريس الفردي تسمى طريقة (العرفاء) ، وقد استخدمها أجدادنا المسلمون في كتائبهم ، وهي الآن من الطرق التربوية المعاصرة التي تهتم بالفروق الفردية ، وفيها فوائد كثيرة منها :-

- ١- تنمية فضيلة التعاون عند الأولاد والبنات في البيت المسلم .
 - ٢- يستفيد المستوى الأدنى عندما يتعلم من المستوى الأعلى .
 - ٣- يستفيد المستوى الأعلى عندما يراجع معلوماته ويثبتها .
 - ٤- تتوطد عرى الأخوة والمحبة بين أبناء البيت المسلم .
- ولابد للأب من المتابعة المستمرة ، ومكافأة المحسن في عمله ، ومجازاة المقصر أو المسيء في عمله . وفض النزاعات التي لا بد من حصولها ، وخاصة بين الولدين المتتابعين في الولادة . وهذه وسيلة لتنمية التعاون بين أفراد الأسرة ، إذ يشعر كل منهم أنه يساعد من الكبير ، ويساعد الصغير ، فيتدرب على الحياة الاجتماعية السليمة ، الأخذ والعطاء ، حتى إذا زاد عطاء الرجل عما يأخذه صار فاضلاً ، وينهض المجتمع إذا كثر فيه الفضلاء .

تعاون البيت المسلم مع المدرسة

ومما ينمي التعاون عند الناشئة أن يروا التعاون بين البيت والمدرسة ، وهما مؤسستان أساسيتان في نمو الناشئة ، وغرس القيم

الفاضلة لديهم ، وهذه بعض أوجه التعاون بين البيت والمدرسة التي يشعر بها الناشئة :

١- تهتم المدرسة بسجل الواجب اليومي ، وهو صلة الوصل بين البيت والمدرسة ، إذا شاهدته البيت كل يوم ، وقرأ ملاحظات المدرسين على التلميذ . كما أن البيت يكتب ملاحظاته التي يطلع عليها المدرسون يومياً بحكم عملهم وصلتهم اليومية بالسجل . وهكذا يحقق السجل إذا اطلع عليه البيت يومياً تعاون يومياً بين البيت والمدرسة ، وينشأ الأولاد على مشاهدة هذا التعاون فينخرس لديهم .

٢- تخصص المدرسة جهاز ينسق الاتصال بأولياء الأمور ، ويتعرف على هواتفهم وعناوينهم وعملهم ، ويحاول معرفة الإطار العام للبيت . وهو المرشد الطلابي حالي ، ويقوم هذا الجهاز بعقد الاجتماعات بين الآباء والمعلمين ، أو (الأمهات والمعلمات) ، والغرض من هذه الاجتماعات توحيد الأساليب بين المدرسة والبيت حتى لا يقع التناقض بينهما .

٣- وللبيت دور كبير في معاونة المدرسة ، هذه بعض نقاطه :
أ - يعود الطفل على الاهتمام بكتبه ودفاتره والمحافظة عليها نظيفة .

ب - يعود الطفل على الاهتمام بواجباته ويتابعه في حلها يومياً .
ج - يعود الطفل على ترتيب حقيبته كل يوم قبل النوم حتى لا ينسى الطفل بعض كتبه أو دفاتره .

د - يعود التلميذ على الذهاب باكراً كي لا يتأخر عن موعد المدرسة . ويحثه على المواظبة الدائمة ، ولا يسمح له بالغياب إلا لأسباب قاهرة .

هـ - يعود الطفل على احترام معلميه وتقديرهم ، وتقديم الهدايا الرمزية لهم يقول الزرنوجي : (ومن احترام العلم احترام المعلم) .

و - زيارة المدرسة دورياً حسب الممكن ، ومقابلة المدرسين للتعرف على مستوى ولده . العلمي والخلقي .

الفصل السادس

الاهتمام بالمسلمين

من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين ، انفراط عقدهم وتشردم أمتهم ، فصاروا تجمعات صغيرة مبعثرة ، واستبدلوا رابطة العقيدة بروابط دنيوية ، وضعفت رابطة العقيدة والأخوة ، حتى وصل الأمر إلى تبدل الحس الإسلامي نحو رابطة الأخوة الإسلامية ، فلو سربت وسائل الإعلام العالمية أحياناً بعض الأخبار عن عملية الذبح المستمرة للمسلمين ، يسمعها المسلمون فيحوقلون ويسترجعون وياليت كلهم يفعل ذلك ، فأين هذا من المسلمين الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) [البخاري ٢٧/١ ، ومسلم ٢٥٨٦] . والمعروف في الطب أن ارتفاع الحرارة في الجسم تساعده على مقاومة الجراثيم والبطش بها ، وإذا وخزت شوكة إصبع القدم ، ثم مرضت هذه الإصبع تعم الحمى الجسد كله ، فيستجيب لهذه الإصبع ويحشد الجسد قدراته لرد الجراثيم عنها . هكذا أراد رسول الله ﷺ من المسلمين ؛ أن يكونوا كالجسد الواحد .

وقال الإمام النووي رحمه الله [١٢٩/١٦] هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه ، ويقول ابن حجر رحمه الله [٤٢٩/١٠] : (فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب الفهم ... ، وفيه تعظيم حقوق المسلمين على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعض . وقد عنون الإمام أحمد رحمه الله هذا الباب بقوله : (باب الترغيب في شد أزر

المؤمن ووده والعطف عليه والتألم لألمه (^(١)) . وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال : ((من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)) وفي رواية الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه : ((من أصبح وهمه غير الله فليس من الله ، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم)) جامع الأحاديث [١٠٢/٦] ، والرواية الأولى عند الطبراني في مجمع الزوائد [٢٥١/١٠] . فكيف نهتم بأمر المسلمين ؟ هل نسمع أخبارهم ؟ وندعو الله لهم ؟ وهذا أقل ما نستطيع ، أم نفعل غير ذلك ؟ يقول محمد الغزالي - يرحمه الله - : (والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعاً إلى كشف ضوائق إخوانك فلا تهدأ حتى تزول غمتها ، وتدبر ظلمتها ، فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك) [خلق المسلم : ٢٨٦] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (لو أن شاة عثرت على شاطئ الفرات لخشيت أن يعذبني الله ، لم لم أمهد لها الطريق ؟ فهذا عمر رضي الله عنه يعلمنا بمدى اهتمام المسلم الحق بالمسلمين في كل مكان .

الفرد المسلم والمجتمع المسلم

الفردية والجماعية خطان فطريان في كيان الإنسان ، متناقضان ظاهر ومتعاونان حقيقة ، (ويحدث الاضطراب حين تزيد النسبة المقررة لكل منهما فينحرف عن مساره ويعتدي على مسار الآخر ، ويشده إليه ، أما حين يأخذ كل منهما مداره الصحيح ، فلن يحدث التنافر بين الفرد والجماعة ، أو يحدث الشقاق) (^(٢)) .

وقد أدى اضطهاد المسلمين إلى ابتعادهم عن العمل السياسي ، ثم انعزالية الفرد المسلم ، مما غلب فيه جانب الفردية على الجماعية ، فضمرت النزعة الجماعية لدى المسلمين المعاصرين ، في حين تضخمت ذواتهم الفردية كثيراً ، وصار النموذج المثالي للمسلم هو الذي يخرج من بيته إلى عمله ، ويعود من عمله إلى بيته ، وفي

(١) انظر محمود طباح ، مجتمع الإيمان ، فقد شرح هذا الحديث شرحاً وافياً (٨٢/١) الطبعة الأولى .

(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، (١٦٣/١) .

بعض الأقطار يصلي في بيته بدلاً من المسجد ؛ خوفاً من أعداء المسلمين وأعدائهم وقيل وقال ... في مثل هذه الحالات تضرر النزعة الجماعية لدى الفرد المسلم وتتضخم النزعة الفردية عنده ، كما هي حال المسلمين اليوم . فيتضاعف اهتمامه بمصالحه الشخصية الدنيوية ، حتى يتمركز حول جمع المال ومتاع الدنيا الفانية .

وقد تفككت الروابط الأسرية في العقود الأربعة الأخيرة بشكل مذهل ، إذ كانت القرية في بلاد الشام قبل ثلاثين سنة أو تزيد ؛ أسرة واحدة ، يطعم الجار جاره يومياً ، ويسهرون معاً كل يوم ، وإذا تغيب أحدهم عن المضافة يوماً أو بعض يوم بحثوا عنه وتفقدوه ، ويتعاون أبناء القرية يومياً في أعمالهم الزراعية ، و من المؤسف أنه لم يبق شيء من ذلك كله اليوم ، بل ناس ابن القرية ابن المدينة اليوم في العزلة وتتضخم الذوات الفردية ، وافترق الجار جاره ، واشتاق الأب لرؤية ابنه ، وهما في قرية واحدة ، فالأب مشغول بدنياه ؛ وابنه أكثر انشغالاً منه بهذه الدنيا ، الكل يجري وراء المال ، ليشبع رغباته الفردية ويسبق أقرانه في متاع الدنيا ، ويتنافس معهم على هذه الجيفة .

الحاجات الاجتماعية

يقول علماء النفس للإنسان حاجات جسدية (كالطعام والنوم ...) ونفسية (كتوكيد الذات والشعور بالأمن ...) واجتماعية (كالانتماء ، والاتباع ، والشعور بالآخرين ...) ، والشخصية السوية هي التي يشبع فيها جميع هذه الحاجات ، دون إفراط ولا تفريط ، أما إذا أشبعت بعضها دون الآخر فيحصل الاضطراب والانحراف ؛ كما هي حال معظم المسلمين اليوم . وهذه بعض الحاجات الاجتماعية التي فرط بها المسلمون اليوم :-

١- الحاجة إلى الاتباع .

فكل إنسان سوي يشعر برغبة إلى أن يتبع شخصاً أو هيئة ما يراها أقوى منه ، فيركن إليها ويشعر بالأمن والاستقرار النفسي في

ظلها ، والمسلم السوي يتبع (أولي الأمر) الذين أمره الله بطاعتهم ، وعندئذ يشعر براحة وطمأنينة ، لأنه أشبع هذه الحاجة .
٢- الحاجة إلى الانتماء .

وهي الرغبة في التعاون مع الآخرين والعمل على إسعادهم ، والحاجة إلى تلقي المساعدة من الآخرين وتقديمها لهم [العيسوي ، ٢٣٦] ، ويشبع المسلم دافع الانتماء عندما يكون طفلاً بالانتماء إلى الأسرة ، ثم إلى المسجد والمدرسة ، ثم إلى مجموعة الأصدقاء ، وعندما يصبح راشداً ينتمي إلى نقابة العمل أو الحي أو المسجد ... إلخ ، ولا يكون الفرد سويّاً بدون انتماء .

ويرى سيد عثمان أن الاهتمام يشكل العنصر الأول من المسؤولية الاجتماعية ، ويقول الاهتمام هو الرابطة العاطفية بين الفرد وجماعته ، يحول الجماعية من وجود خارجي إلى وجود داخلي في الفرد ، وذلك بالتوحد بين الفرد والمجتمع . ويمكن أن نميز أربعة مستويات من الاهتمام :-

١- الانفعال مع المجتمع وهو أبسط صور الاهتمام ، حيث يتأثر الفرد بما يجري للمجتمع من أحداث لأنه عضو فيه .
٢- الانفعال بالمجتمع أي التعاطف معه ، ويدرك الفرد ذاته أثناء انفعاله بالمجتمع .

٣- التوحد مع المجتمع عندما يحس الفرد أنه والمجتمع شيء واحد ، وأن خير المجتمع خيره ، وما يقع عليه من ضرر واقع عليه ، أي يحس بوحدة مصيره مع المجتمع .

٤- تعقل المجتمع أي ينطبع المجتمع في فكر الفرد وتصوره العقلي ، فيهتم بمشكلاته ومصيره وأهدافه وسير مؤسساته ، ويقوم هذا الاهتمام على منهج موضوعي مخطط من التفكير ، وهو أعلى مستويات الاهتمام [المرجع نفسه ، ص : ٢٧٠] .

ويمتاز الإسلام بإشباع الحاجات الإنسانية باعتدال بلا إفراط ولا تفريط ، كما يوجه الاهتمام الأكبر للحاجات الروحية أولاً ، ثم الاجتماعية فالعقلية والنفسية وأخيراً الحاجات الجسدية . أما ما هو متعارف عليه اليوم عند المسلمين وغيرهم من الناس فهو إشباع

الحاجات الجسدية أولاً ، ثم النفسية وأهملت سائر الحاجات الأخرى ، حتى الحاجات العقلية لا تلقى عناية من الناس في هذا العصر .

المجتمع سابق على الفرد

يقول علماء الاجتماع المجتمع سابق على الفرد ، أي أن الفرد يوجد ضمن المجتمع ، ولا يوجد بدونه ، وعندما يتفاعل الفرد مع مجتمعه فهذا هو الوضع السليم ، أما إذا انعزل الفرد عن المجتمع فهذه حالة شاذة غير سليمة . وعندما نسقط ذلك على المجتمع المسلم ؛ نفهم منه أن الفرد المسلم لا يستطيع أن يحقق وجوده الإسلامي كاملاً إلا في المجتمع المسلم ، وهذا من البدايات . فصلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتربية الأبناء والبنات ، والجهاد في سبيل الله ... وغير ذلك من الواجبات الشرعية ، لا يستطيع الفرد المسلم تحقيق أي منها وحده .

ويذهب (زابتلن) إلى أن الفرد لا يوجد خارج الجماعة ، لأنه يكتسب صفاته الإنسانية من خلال مشاركته في المجتمع ، والفرد (تجريد ذهني) لا يوجد حقيقة ، والموجود فعلاً هو عضو في مجتمع ، والمجتمع ليس أفراد وإنما علاقات ونظم ، ووجود الجماعات الصغيرة ضروري للمجتمع ، فهو بمثابة الوحدات الأساسية التي يتكون منها المجتمع ، (كالأسر والجمعيات والنقابات مثلاً) ، وداخل هذه الجماعات يعيش الفرد [عبد الباسط حسن : ١٦٦] . ونكرر جملة (ويكتسب الفرد صفاته الإنسانية من خلال مشاركته في المجتمع) فنقول : ويكتسب الفرد المسلم صفاته الإسلامية من خلال مشاركته في المجتمع المسلم . ومما سبق نفهم أن الفرد المنعزل عن المجتمع يهدر كرامته وإنسانيته ، فيعيش على مستوى الحياة البيولوجية فقط ، ويموت نفسياً واجتماعياً وروحياً . وعندما يكثر هؤلاء الأفراد في المجتمع ، يموت المجتمع ويصبح قطيعاً من الأموات .

والإسلام دين جماعي ، والاهتمام بالآخرين شرط أساسي للحياة السليمة ، وشرط للمجتمع المسلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر أحد الأدلة الكثيرة على اهتمام الإسلام بالمجتمع ، وقد توهم (الانعزاليون) أن اختيار أضعف الإيمان (وهو إنكار المنكر بالقلب) يكفيهم ، ويوفر عليهم مشقة الجهاد في سبيل الله ، ويتوهم هؤلاء أن الفرد إذا أصلح نفسه لا يهمله فساد غيره ، لكن الله عزوجل قال : { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ... } [الأنفال : ٢٥] ، وروى أبو داود عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((إذا تبايعتم بالعينة ، وتبعتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)) [جامع الأصول ١١ / ٧٦٥] ، وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم))^(١) .

وهم ساذج

يعتقد بعض المسلمين أن الابتعاد عن الناس عبادة ، ويفسح المجال لمزيد من الصلاة النافلة والأذكار والاعتكاف ؛ مما يضاعف حسناتهم ، فيجعلهم يستفيدون من أوقاتهم ولا تضيع في مخالطة الناس وإضاعة الوقت معهم ، وهذه الرهينة غريبة عن مفهوم الإسلام ، بل إن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي يعتزلهم ، أما المسلم الذي يهتم بأمر المسلمين وقضاء حاجاتهم ، فهذا أفضل من المتبتل المعتكف الذي يعتزل الناس ويبتعد عن همومهم ومشاكلهم ، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير [٢٠٩ / ٣] عن ابن عمر قوله ﷺ : ((أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور يدخله على قلب مسلم ، أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً ... ومن مشى

(١) الطبراني في الأوسط وحسنه ، وحسنه كذلك السيوطي في الجامع الصغير .

مع أخيه في حاجة حتى تنهياً له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام))
(١)

كيف نهتم بالمسلمين؟

من بدهيات الاهتمام بالمسلمين موالاتهم ، وعدم موالات أعدائهم ، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى ، قال عزوجل لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير آل عمران ٨٢ . وقال تعالى ياأيهاالذين آمنوا لاتتخذواالكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطان مبين النساء ٤٤١ . وقال سبحانه وتعالى ياأيهاالذين آمنوا لاتتخذوااليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لايهدي القوم الظالمين المائدة ١٥ وقال عزوجل إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنواالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون المائدة ٥٥

مامعنى الولاء للمسلمين؟

يطلق الولي في اللغة على المحب والصديق والنصير والحليف والتابع ، ومن القرآن الكريم يتضح لنا الولاء بأنه [وعدم طاعة الله في الكافرين وربط المصير بالمصير ، قال تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدأبدواإن قوتلتم لننصرنكم (الحشر ١١) .

(١) قال الألباني هذا إسناد ضعيف جداً ، لكن قد جاء بإسناد خير من هذا ، فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، (ص : ٨٠ رقم ٣٦) ، وابن عساکر (١/٤٤٤/١١) من طرق عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي ﷺ . قلت : وهذا إسناد حسن ، فثبت الحديث والحمد لله . (السلسلة الصحيحة ٦٠٨/٢ رقم ٩٠٦) .

2ومن مظاهر الولاء فقد قال تعالى ياأيهاالذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة (الممتحنة ١ .)
3ومن مظاهر الولاء فقد قال تعالى لاتجد قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... المجادلة ٢٢ .
4ومن مظاهر الولاء واستماع كلامهم القبيح دون الرد أو الغضب منه .

5ومن مظاهر الولاء الطاعة، فمن أطعته فقد توليته ، قال تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم (الأحزاب ٨٤) وقال أيض ياأيهاالذين آمنوا إن تطيعوا فريق من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (آل عمران ١٠١) . وقال أيض ياأيهاالذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خيرالناصرين (آل عمران ٩٤١ ١٠٥١ .)
6ومن مظاهر الولاء فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « من تشبه بقوم فهو منهم » (حش) جامع الأصول (١ / ٧٥٦) وأبو داود (١٣٠٤) قال الأرناؤوط إسناده حسن .

*ولا يفهم من ذلك أن أي تعاون مع الكافرين موالاة لهم ، وأنه يجب أن نقاطع الكافرين تمام كي نبرأ من موالاتهم ، وإنما يجوز التعاون مع كافر ضد كافر آخر ، ويجوز التعاون مع كافر بما فيه مصلحة تكنولوجية أو طبية للمسلمين وغير ذلك . (نش).
وما سبق نفي ولاء المسلم للكافرين والمنافقين ، لأن ولاءه لله ورسوله وللمؤمنين ،؟

1ننصر المؤمنين ولا نخذلهم.
2نربط مصيرنا بمصيرهم.
3ولانطيع الكافرين فيهم.
4ولانتورع عن إعطاء أسرار الكافرين والمنافقين ومخططاتهم إلى المؤمنين.

5ونحبهم ونودهم أينما كانوا.
6ونجالسهم ونجعلهم خاصتنا ونكثر سوادهم إلا لضرورة وحكمة.

7 ونطيع قياداتهم السياسية والعلمية ، ونتشبه بهم لأن التشبه بهم اقتداء برسول الله ﷺ ، هذه هي الصفة الأساسية للمسلم التي بدونها لا يكون مسلم . (حش) سعيد حوى ، جند الله ، ص ١٨١ وما بعدها بتصريف .(نش).

ويقول محمد سعيد القحطاني (من مقتضيات الولاء والبراء حق المسلم على المسلم ، فماذا لك الحق ؟

1المودة وهذه للمؤمنين من بعضهم لبعض ، فليس للكافر ولا للفاسق ولا للمبتدع فيها نصيب ، ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه كما قال /Rom/}/Ara/ ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (حش) متفق عليه وهو في كتاب الإيمان عندهما .(نش).

2النصرة وهذه واجب أخوي إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان ، وفي أي أرض حل ، وبأي لون كان ، ينصره بنفسه وبماله وبالذنب عن عرضه ، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . قال /Rom/}/Ara/ ﷺ ما من امرئ يخذل امرء مسلم في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته . وما من امرئ ينصر مسلم في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب نصرته) (حش) قال الألباني (حديث حسن) صحيح الجامع الصغير ٥/٦١٠ رقم الحديث ٦٦٥٥ .(نش).

ولو أردنا تتبع النصوص في هذا الشأن لطل الحديث ، ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه مثالا فريدا في تاريخ التلاحم والتناصر . ولن ينتصر المسلمون إلا إذا تحقق فيهم بعد صفاء العقيدة ووضوحها حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه ، وشعوره بالأم أخيه كشعوره بما يصيبه هو ، وحب نصرته كما يحب أن ينصره هو ، والله ينصر من ينصره إن الله لقوي عزيز.

وتتحقق النصر بعدة أمور منها الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم وكسر شوكة الظالمين ، وبذل المال له لإعزازه وتقوية جانبه ،

والذب عن عرضه وسمعته ، والرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين ، والدعاء للمسلم بظهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخُطأ ، وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة . كل هذه الأمور تحقق للإنسان ولاءه لإخوانه المسلمين ، وتجعله عضواً عاملاً صالحاً في جسم الكيان الإسلامي . (حش) محمد سعيد القحطاني ، ص ٧٦٢ وما بعدها بتصريف . (نش) .

وولاء المسلم للمؤمنين إحدى خصائص السياسة الإسلامية ، فلا يقبل من حركة إسلامية أن تتحالف مع غير الإسلاميين إذا كان فيه إساءة لحركة إسلامية أخرى ، كما تسارع جميع الحركات الإسلامية في العالم إلى نصرته المسلمين في أي بقعة من العالم ، على قدر طاقتها ، وهذه من ثوابت السياسة الإسلامية لأنها سياسة عقائدية وليست سياسة مصالح كما هي عند الجاهليين.

كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين ؟

1متابعة أخبار المسلمين

1اهتمام البيت المسلم بالقضايا الإسلامية الكبرى ، وشرحها للصغار بما يناسب عقولهم ، مثل قضية فلسطين ، وكشمير ، والبوسنة والهرسك ، والشيشان ، وغيرها ، وتخلف المسلمين وتمزقهم ، وتفوق الكافرين عليهم عسكرياً وحضاري.

2من خلال الاستماع إلى نشرات الأخبار اليومية ، وإظهار الاهتمام من قبل الأب والأم عند سماع أنباء سارة عن المسلمين ، والتعبير عن فرحتهم بتقديم الحلوى للأطفال بتلك المناسبة ، أو التعبير عن حزنهم وألمهم عند سماع أنباء غير سارة عن المسلمين في أي مكان من العالم.

3تأمين مجلة أسبوعية واحدة على الأقل ، وأخرى شهرية ، تنقل أخبار المسلمين في العالم ؛ ليقرأها سائر أفراد الأسرة ، ويعلق

أحد الوالدين على أهم حدث أسبوعي يتعلق بالمسلمين خلال الدرس اليومي للأسرة ويقدم تعريف مناسب لأذهان الأولاد عن تلك المشكلة وأسبابها والحلول المقترحة لها، ثم يدعو أفراد الأسرة كلهم الله عزوجل كي يفرج عن أولئك المسلمين ، ومجلة للصغار تهتم بهذا الموضوع عندما تتوفر. (حش) من هذه المجالات التي تنقل أخبار المسلمين مجلة رابطة العالم الإسلامي ، ومجلة المجتمع الكويتية ، ومجلة الدعوة السعودية ، ومجلة الإصلاح الإماراتية ، ومجلة الاعتصام المصرية ، ومجلة الجهاد الأفغانية ، ومجلة الإرشاد ومجلة النهضة الجزائريتان ، ومجلة الإرشاد اليمنية . وغيرها كثير .(نش).

4تأمين أشرطة فيديو تبين هذه القضايا الإسلامية العالمية، ليشاهدها الأولاد والبنات في البيت المسلم ، وقد توفرت هذه الأشرطة حالي في المكتبات بفضل الله عزوجل.

5ومن الاهتمام بالمسلمين التعرف على الدعوات الهدامة التي تكيد للمسلمين ، كالحركة التنصيرية ووسائلها في دس السم في العسل، وأماكن تواجدها، والمؤسسات المخفية وراءها، والتعرف كذلك على القاديانية والباطنية والشيوعية والعلمانية والصهيونية وغيرها . وتحصين الناشئة ضد هذه الحركات الهدامة.

6ومن الاهتمام بالمسلمين التعرف على بلادهم جغرافي ، من خلال دراسة الكتب والمصورات عنها (مثل كتب الأستاذ محمود شاكر)، ويمكن أن تكون هذه الدراسة في الدرس اليومي للأسرة مرة في الشهر أو خلال العطل على الأقل ، والقيام برحلة إن أمكن إليها ، وخاصة في الصيف حيث تسافر كثير من الأسر إلى أوروبا لقضاء عطلة الصيف ، هرب من الطقس الحار في بلادها ، ويمكن السفر إلى البلدان المسلمة للتعرف عليها ، بدلاً من التعرف على بلدان الكفار.

مشاركة المسلمين في قضاياهم

1 مشاركة الأسرة للمسلمين في بلد ما من العالم بفرحتهم كأن ينتصرون على عدوهم ، ويحصلون على الاستقلال ، أو يقيمون صرح حضاري هام ... إلخ ، حيث يظهر الوالدان فرحتهما أمام الصغار ، وتوزع الحلوى عليهم ، وتعد الأم طعام خاص يحبه الأولاد بهذه المناسبة.

2 إظهار الحزن عندما تحل بالمسلمين جائحة ، كالفيضانات ، أو مقتلة دبرها لهم العدو ، والدعاء لهم بالصبر والنصر على الأعداء ، والتحدث أمام الصغار بذلك.

3 التبرع بالمال للقضايا المسلمة في العالم ، مثل قضية أفغانستان ، أو فلسطين ، أو البوسنة والهرسك ، أو الشيشان ... وغيرها ، وتدريب الصغار وحثهم على التبرع بجزء من مدخراتهم لها ، بعد تعريفهم بأن الله عز وجل ينمي هذا المال المتبرع به عنده ، ليصل إلى مئات الأضعاف في الآخرة.



المراجع

- ١- أبو بكر الجزائري ، هذا الحبيب ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٩٨٩ م .
- ٢- ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض ، ط١ ، ١٩٨٣ م .
- ٣- ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، دار الهلال ، ط١ ، ١٩٨١ م .
- ٤- ابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب .
- ٥- برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، دار ابن كثير، دمشق، ط١٩٨٥، م١.
- ٦- توفيق الشاوي ، الشورى والإستشارة ، دار الوفاء ، ط١ ، ١٩٩٢ م .
- ٧- خالد شنتوت ، دور البيت في تربية الطفل المسلم ، ط٤، دار المطبوعات بجدة ، ١٩٩٠ م .
- ٨- سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ط٢ دار السلام بالقاهرة ، ١٩٨٩ م .
- ٩- سعيد حوى ، جند الله ثقافة وأخلاقاً ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٠- سيد أحمد عثمان ، المسئولية الاجتماعية ، الانجلو مصرية ، ١٩٧٩ م .
- ١-صلاح الصاوي ، تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي، مركز تطبيق الشريعة - اسلام آباد.
- ١- طه جابر العلوني ، أدب الاختلاف في الإسلام ، كتب الأمة ، قطر .
- ٢- عبد الرحمن عبد الخالق، مشروعية العمل الجماعي ، دار الهجرة بالرياض ، ١٩٨٩ م .
- ٣- عبد الله قادري ، شورى لا ديمقراطية ، ط١ ، ١٩٨٥ م ، الرياض .
- ٤- عثمان عبد المعز ، التربية السياسية عند جماعة الإخوان المسلمين ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- ٥- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٦- محمد رواس قلعجي ، أميرنا وأميرهم ، مكتبة الهدى ، حلب ، ١٩٧٧ م .
- ٧- محمد السيد الوكيل،جولة تاريخية في عصرالخلفاء الراشدين،دار المجتمع بجدة،ط١، ١٩٨٦ م .
- ٨- محمد سعيد القحطاني ، الولاء والبراء في الإسلام ، طيبة بالرياض ، ط٤، ١٤١١ هـ .
- ٩- محمد سليم العوا ، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، المكتب المصري ، ١٩٧٥ م .
- ١٠- محمد عبد القادر أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام ، دار الفرقان ، ١٩٨٦ م .
- ١١- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، ١٤٠١ هـ .
- ١٢- محمود طباطباخ ، مجتمع الإيمان ، دار العلم للطباعة بجدة ، ١٤١٠ هـ .
- ١٣- نيقولا مكيافلي ، الأمير ، ترجمة فاروق سعد ، دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

المحتوى

الصفحة

الموضوع

١	المقدمة	١
الفصل الأول : تعريف التربية السياسية		
تعريف السياسة :		
٦	- السياسة في الفكر الغربي	٦
٨	- السياسة في الفكر الإسلامي	٨
١١	- السياسة علم أم فن	١١
١٢	البيت المسلم مدرسة للتربية السياسية	١٢
الفصل الثاني : الطاعة في البيت المسلم		
١٤	الطاعة هي البيعة	١٤
١٥	البيعة في المجتمع المسلم	١٥
وسائل البيت المسلم لغرس فضيلة الطاعة عند الناشئة :		
١٨	١- قوامة الرجل في البيت المسلم	١٨
١٩	٢- طاعة الوالدين من طاعة الله	١٩
٢١	٣- طاعة الأمير المسلم من طاعة الله	٢١
٢٢	٤- تأكيد البيت المسلم لأولاده على طاعة المدرس المسلم	٢٢
٢٣	٥- طاعة الأب مديره وتنفيذه أوامر أمير البلد	٢٣

الفصل الثالث : الشورى

المسلم	صفة	للشورى	٢٥
معلمة	ملزمة	والاستشارة	٢٧
الفردية	ضدها		٢٩
كيف نربي أولادنا على الشورى ؟			
الحسنة	القنوة	١-	٣١
	مشاورة الأولاد والبنات عند شراء حاجاتهم	٢-	٣٢
	لا يتخذ الوالدان قراراً فردياً	٣-	٣٢
	دور الأم في الشورى	٤-	٣٣
	تدريب الناس على الانتخاب	٥-	٣٤

الفصل الرابع :

العدالة

الشريفة		الأحاديث	٣٦	
الأحاديث		شرح	٣٧	
وسائل البيت المسلم لغرس العدالة في الناشئة				
المجتمع	الأسرة	نواة	١-	٣٨

الصفحة

الموضوع

	٢-	فإن لم تعدلوا فواحدة	٣٩
--	----	----------------------	----

٤٠	٣- الأب في البيت يمثل الدولة في المجتمع
٤٠	٤- الأخوة بدلاً من التباغض
٤١	٥- العدل والمساواة بين الأطفال
٤٢	٦- الاستجابة لحقوق الأطفال
٤٣	بالعدل يدوم الملك
٤٤	العدل صفة للفرد المسلم
٤٥	العدل مع غير المسلمين
٤٧	تكافؤ الفرص في البيت المسلم حق الحياة ، حق التعليم ، حق العمل ،
٤٨	حق الزواج ، حق الحرية
٤٩	المساواة بين المواطنين
الفصل الخامس : التعاون	
٥٢	التعاون في علم الاجتماع
٥٣	التعاون أخذ وعطاء ، وتكامل
٥٤	الرأي والرأي الآخر
٥٥	أدب الاخـتلاف
كيف نربي أودلانا على التعاون ؟	
٥٦	١- القدوة الحسنة من الوالدين
٥٦	٢- التعاون مع الجيران

٥٧ ٣- التعاون من خلال المستويات الدراسية

٥٨ ٤- تعاون البيت مع المدرسة

الفصل السادس : الاهتمام بالمسلمين

٦٠ الفرد المسلم والمجتمع المسلم

٦١ الحاجات الاجتماعية : - الحاجة إلى الاتباع - الحاجة إلى الانتماء

٦٢ المجتمع سابق على الفرد

٦٤ كيف نهتم بالمسلمين؟
معنى الولاء للمسلمين

٦٧ كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين؟
١- متابعة أخبار المسلمين

٦٨ ٢- مشاركة المسلمين في قضاياهم

٦٩ المراجع

